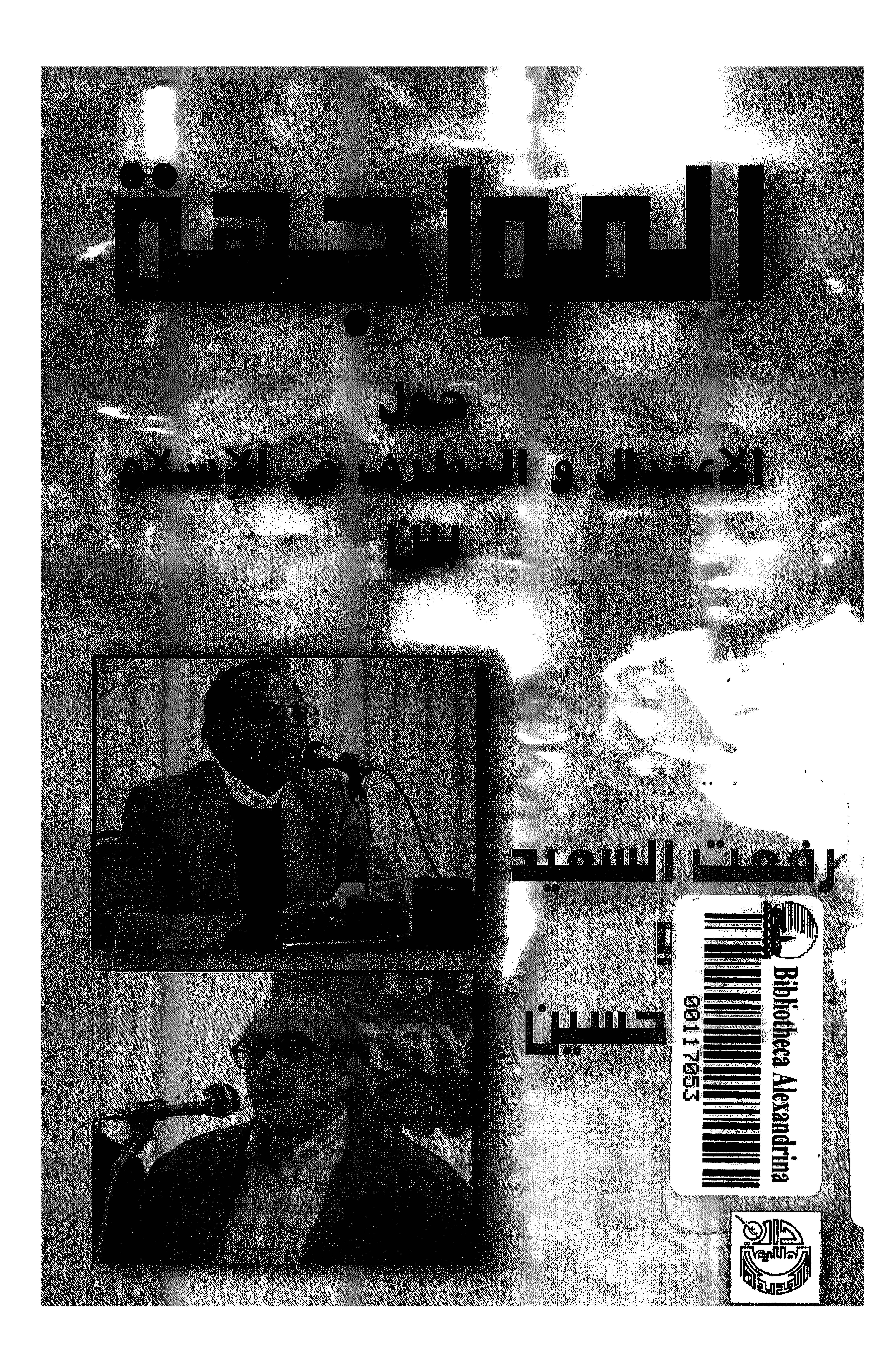

المواجهة
حول
الاعتدال و التطرف في الإسلام
بين
رفعت السعيد
و
حسين
Bibliotheca Alexandrina
0011 7053

المواجهــة

بين

د. رفعت السعيد وعادل حسين

المواجهة

حول الاعتدال والتطرف في الإسلام

بين

د. رفعت السعيد و عادل حسين

حوار: رفعت السعيد   عادل حسين

تعليقات:

محمد سعيد العشماوي
نصر حامد أبو زيد
خليل عبد الكريم
مصطفى عاصي
مجدي قرقر
صلاح عدلي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى - 1996

دار الطليعة الجديدة

سوريا - دمشق - ص.ب 34494

هـ: 7775872

«تم طبع هذا الكتاب بالاشتراك مع دار الأهالي في مصر»

اخراج: هالة فطوم

صمم الغلاف: جمال سعيد

تنفيذ الغلاف: بلاتينيوم

تقديم

نقطة الابتداء تقطر بساطة.

ندوات ومناظرات رمضانية. يرتبها، ينظمها، يديرها اتحاد الشباب التقدمي - القاهرة.

وتشعبت الندوات.. بطالة. إسكان. صحة ثم أتت إلى موضع الوجع في الجسد المصري. وفوجئت بترتيب لمناظرة «الاعتدال والتطرف في الإسلام السياسي»، فوجئت بأن الأستاذ عادل حسين قد قبل بالمشاركة فيها. ولم يكن ثمة مفر، فلابد من أن أكون الطرف الآخر. فالأمين العام لهم.. يقابله الأمين العام لنا.. على الأقل من باب المجاملة.

لكنني منذ بداية إبلاغي ملاحظة على تسميتها «بالمناظرة» فالمناظرة توحي بقدر من اللجاجة تذكرني بتدريبات مدرسي اللغة العربية لنا في «جمعية المناظرات» بالمدرسة الابتدائية.. في زمان كانت فيه المناظرة المفضلة هي «القبعة أم الطربوش». أما الملاحظة الثانية التي تلسعني دوماً وهي تسمية «هؤلاء» «بالإسلام السياسي» أو ما شابه ذلك فقد اعتدت على ابتلاعها، حتى أتمكن من إقناع الآخرين بخطأ التسمية، وخطأ الاستخدام اللغوي، ومن ثم إقناعهم باستخدام كلمة «التأسلم»...

المفاجأة تجلت لحظة الوصول إلى المقر المركزي للحزب لأبدأ.. الحوار أو المناظرة أيهما سيقع. القاعة الكبيرة ممتلئة في مهابة. هذا الحضور الكثيف غير متوقع في ليلة رمضانية.. مئات الوجوه المتطلعة إليك، البعض في مودة، والبعض في غير مودة، شخصيات عديدة لم تكن لتتصور حضورها.. الفريق سعد الدين الشاذلي — عبد الله حوراني (عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية) سودانيون حكوميون ومعارضون، أبو

الفضل الجيزاوي، د. جلال أمين، الجار ا لله عمر (اليمن).. دبلوماسيون باحثون مصريون وأجانب، أساتذة جامعات، صحفيون بلاحصر.. ملتحون.. محجبات وغير محجبات، خمس كاميرات فيديو تعرفت على اثنتين منها والأخرى أتت لست أدري من أين.. ولا لماذا؟ عشرات المسجلات مشرعة في الأيدي وكأنها تستدعيك إلى مبارزة.. وأخرى مصطفة على المنصة.

وانتظرنا.. لساعة ونصف حتى يحضر الأستاذ عادل حسين برغم طول الإنتظار لم يتململ أحد، ولم ينصرف أحد.

اعتذر عادل عن التأخير بسبب لم يشأ ذكره. دهش الجمع إذ وجدنا نتمازح معاً، ضحكاتنا وصلت الآذان جميعاً قبل أن نصعد إلى المنصة. زوجتي تستعيد معه ومع الصديق القديم د. أحمد عامر ذكريات عملهم الطلابي المشترك بالجامعة.

ثم، وعلى عجل بدأنا:

من فوق المنصة، الأمر مختلف، والرؤية مختلفة.. نظرات تشتعل غيظاً منك قبل أن تبدأ.. فقط باعتبار ما كان، واحد ـ ولم يَخْفَ ذلك بل لعله حرص على إعلانه ـ يقرأ ضدي «عدية ياسين» كي يُعقد لساني وأرتبك.. ونظرات أخرى هادئة حانية تحاول ولو من بعيد أن تمنحك إيحاءً بأنها معك.

لم أزل أذكر محاضرات أستاذي الألماني إذ كنت أدرس كعلم إضافي، لكنه إجباري، علم أو فن ــ هناك خلاف كبير حول ذلك ــ إلقاء المحاضرات. كان يؤكد على أهمية التآخي بين نظراتك.. ملامحك.. أنفاسك ونظرات وملامح وأنفاس مساحة واسعة من القاعة.. منهم ومن خلجاتهم ستعلم إن كنت مقنعاً أم لا؟ مرغوباً فيك أم لا؟، مطلوب منك أن تواصل أم أن كلماتك حملت إليهم ــ لسبب أو لآخر الملل والطموح إلى التخلص منك؟. افترشت نظراتي المساحة. الأمر صعب للغاية، فالجمع مكدس ومتكدس، وثمة جالسون حتى على درجات السلم الجانبي، واقفون بتراص متزاحم يخفي عنك وجوهاً كثيرة، ويخفي انفعالاتها. لكن

التمايز واضح، وسريعاً أفلت من ذهني خيط رقيق ودقيق مرّ متعرجاً عبر القاعة، تعرج وتعرج ليفصل بين نظرات ونظرات .. موقف وموقف.

قبل أن أصعد للمنصة سألني د. عصمت زين الدين دون أن يخفي تعاطفه مع الأستاذ عادل حسين، هل ستكون هذه الندوة بداية لتفاهم وعمل مشترك؟ قلت: يتوقف الأمر على ما سيقول الأستاذ عادل اجابة على أسئلة محددة فإما تواصل، وإما حد فاصل. اشتعل الوجه المتسائل بغضب لم يفارقه طوال الوقت. ومن الصف الأول ظلت نظراته وملامحه غاضبة غضباً يتقد كلما أمعنت في الكلام ليوحي إليّ أنني أطأ المنطقة الصائبة، لأوجع في موضع الألم الحقيقي.

وكتقليد نحترم به الضيف، بدأ الأستاذ عادل حسين بالحديث، بعد أن تبادلنا عبارات مجاملة رقيقة وغير مفتعلة.

عندما تحدث، وطوال حديثه أحسست بكلماته مغلفة بحالة من الاستعلاء كتلك التي توهمها «القطبيون» (تلاميذ سيد قطب) وأسموها «الاستعلاء بالإيمان»، وأحسست أنه يتقن فن القول بالمطلق... وتبدى الأمر ـ من وجهة نظره بسيطاً للغاية ـ الصحوة الإسلامية يعلو موجها، والجماهير الفقيرة تلتقي في ظلالها، وتحتشد تحت خيمتها.. ثم موقفين مطلقين.. إذ تأتي الجماهير محتشدة إلينا (أي إليهم) فلا مفر أمامكم (أي أمامنا) سوى أن تتبعوها لتأتوا إلى ساحتنا (أي ساحتهم) وإذ أن الخيمة متسعة، فلها أن تشتمل بالضرورة على تفاوت وتنوع ولكن في إطار الخيمة.

المعنى واضح. أو هكذا التقطته، لامهرب لنا إلا تحت خيمتهم (فلماذا الحوار إذن؟) ولاأمل في انتقاد أو حتى عتاب للإرهاب والإرهابيين فالجميع تحت الخيمة وفي إطارها، وإن إختلفت السبل والأدوات.

والغريب أن هذا المعنى الواضح في كلمة الأستاذ عادل حسين لم يكن سوى تأكيد لما كنت أزمع أن أقول به، ولما قلت وقررت وكررت دوماً.. أنه لامعتدل ومتطرف تحت هذه الخيمة الواحدة.

تعدل ترتيب الكروت المرتاحة في هدوء أمامي.. تحرك البعض، فلم أعد بعد بحاجة إلى تأكيد ما أكده الأستاذ عادل، أو إلى إثبات ما أثبته. تباعدت كروت وأقتربت أخرى.. وبدأت.

الغريب أن الذين كرروا إلحاحهم على ضرورة مشاركتهم في الحوار لم يحتملوا. بعد ثلاث أو أربع من الجمل، أحسست أن بعضاً من الملامح إكتسى بغضب متفجر، والذين أقسموا وأكدوا بضرورة تديين السياسة أو تسييس الدين بدأت ترتفع تأوهاتهم «نحن في ندوة سياسية فلماذا تتحدث في الدين» أوجعهم جداً أن يكون القول الديني الصحيح ضدهم، وأن يستطيع كشف الغطاء عن حقيقتهم.

القاعة تتململ. ألححت منذ البدء على الزملاء والأصدقاء، المؤيدين ألا يصفقوا (وإن ألححت على السماح للطرف الآخر بذلك فهم ضيوف)، وألححت في البداية على الزملاء والأصدقاء بإحتمال أي فعل من الضيوف. صاح الزميل حمدي حسين (أتى من المحلة ليحضر الندوة) غاضباً. قال: الجالس إلى جواري يشتمك شتائم سيئة. قلت: دعه يشتم فهو ضيف.

مقاطعات غيرمفترضة بدأت تتناثر.. البعض يلح في عصبية غير مفترضة على حقه في الكلام فالمتحدث باسمهم، لايتحدث باسمهم كما يجب أو كما يحبون، ولعل بعضاً منهم صمم على أنه لايمثلهم.

أنهيت كلمتي... ودعوت الأستاذ عادل للتعقيب. قال ما هو مثبت في هذا الكتاب، لكنه حاول أن يستدرجني إلى ساحته وملخصه: تقول إننا متأسلمون، وأنت صحيح الإسلام، فمرحباً بك تحت الخيمة وتعال نتحاور على هذا الأساس.. قلت نحن مسلمون لكننا نرفض من حيث المبدأ الحكومة الدينية ولانعتبرها من الأصول، ومن ثم نرفض مبدأ تديين السياسة وتسييس الدين.صعق الآخرون جميعاً عندما أوردت الحديث الشريف الوارد في الصحيحين «الخلافة بعدي ثلاثون عاماً وبعدها ملك عضوض».. أوجعتهم كثيراً الأمثلة على الفهم النصي، والأمثلة على التأسلم والإتجار به.. وما إن بدأت بالتعقيب على التعقيب. ما إن توالت الأسئلة الموجعة التي تضع الملح داخل جرح دامٍ.. لم لاتدين الإرهاب؟ هل من فارق بين حزب العمل والإخوان؟ وما هو تحديداً؟. كيف تطالبون هنا بالحريات والديمقراطية والتعددية وحرية العمل النقابي، وتؤيدون الممارسات الديكتاتورية للحكم المتأسلم في طهران والخرطوم؟ وهل من قدرة

على انتقاد حكامها؟ وهل هذا هو النموذج «الإسلامي» الذي تطمحون إليه؟

لاإجابات، فأية إجابة هي لغم متفجر ويفجر مجمل الموقف، ويكشف القناع عن حقيقة الانتماء.

وما أصعب ألا تجد إجابة على أسئلة محددة ومحرجة وأمام جمع غفير كهذا. البعض يبتسم ليمنحني عواطفه.. وجوه كثيرة أراها للمرة الأولى لكن عيونها الراضية المشجعة تمنحني دفئاً وثقة... وكأننا أصدقاء منذ الزمان الأول. لكن الخيط المتعرج يفصل بين هذه العيون وعيون أخرى يتفجر منها التجهم، المتجهم بلا تحفظ، وبلا احتراز، قبضات تلوح بالغيظ الذي لم يعد قادراً على ضبط نفسه أو أنفاسه.

صيحات بدأت بالتهجم عليّ، ثم بالتهجم على رجلهم الجالس على المنصة، البعض يقول وعلى مسمع منا جميعاً إنه غير موفق أو إنه لايمثلهم، وإلى المنصة صعد إثنان في غاية التوتر يريدان أن ينتزعا حق الكلام بدعوى أنهم يمثلون جماعة الإخوان...

ويبدو للجميع أن الاستمرار لم يعد ممكناً فبعض القاعة لم يعد قادراً على الاحتمال.

إنها المرة الأولى التي أتعلم فيها أن حواراً أو قولاً أو حججاً يمكنها أن توجع إلى هذا الحد المتفجر.

... ولم يكن بالإمكان الاستمرار وسط ضجيج مفروض وإن كان غير مفترض.

وتنتهي الندوة...

ليبدأ حولها ضجيج سياسي وإعلامي لم أكن أتوقعه .. ولم يكن يتوقعه أحد.

القاهرة ١٩٩٥/٣/١٠

د. رفعت السعيد

الحــوار

في بداية اللقاء، قال د. رفعت السعيد: قد يتصور البعض أنهم قد أتوا ليشاهدوا مشاجرة. لكن أعتقد أن الهدف من هذا اللقاء هو أن نفهم، وأن نتفهم، أن نتفاهم قدر ما نستطيع. كما أن ثمة خطأ فقد أسموا هذا الذي سيجري مناظرة لكنني أعتقد أن الأجدر بنا أن نسميها ندوة أو حواراً فالمناظرة تمتلك قدراً من اللجاجة وأعتقد أننا سننأى بأنفسنا عنها. أما من أتوا ليشاهدوا مشاجرة فأسجل لهم أنني والأستاذ عادل حسين أصدقاء قدامى، أقدم كثيراً جداً من أن تتبعثر هذه الصداقة بسبب حوار أو بسبب مواقف لكن ذلك لا يعني أننا سنقدم أية تنازلات في الفكر والموقف السياسي وإنما سنحاول قدر الإمكان أن نكون موضوعيين.

بعد هذه الكلمات السريعة بدأت وقائع الندوة فتحدث عادل حسين وطرح وجهة نظره قائلاً:

النقطة التي أود أن أعلق عليها قبل أن أدخل في الموضوع هي التي أشار إليها أخي د. رفعت السعيد حين استنكر وأنا معه مصطلح المناظرة فمناظرة تعني كما تعودنا تقديم كل طرف لمنولوج.. يعني كل واحد يقول وجهة نظره وكأنه يدافع عنها، قضية لامجال للتزحزح فيها ولا للتغيير فيها حيث أن المقصود غير هذا. فأصارحكم أنني قد جئت بهدف الحوار وليس لهدف التناطح أو إثبات كل نقطة أتصور أنها صحيحة. فجئت بقلب وعقل مفتوح وأرجو أن يكون كل الحاضرين متمثلين لهذه الفضيلة لأن أمتنا في وضع خطير، وتبادل الرأي والحوار ومحاولة أن يفهم كل منا الآخر أصبحت مسألة ملحة. وعلى المستوى الشخصي وصفني د. رفعت بأنني صديق قديم وهذا تعبير صحيح وإن كان أقل من الحقيقة بمعنى أنني أذكر أننا خرجنا من السجن عام ١٩٦٤ معاً وكنا أقرب اثنين

خارجين من السجون إلى بعضنا البعض على المستوى الشخصي وعلى مستوى التفاهم في كافة القضايا. وشاء الله أن افترقت بنا السبل ولعل من الأشياء التي أندم عليها طوال الفترة الماضية ــ ويدهشني هذا ــ كيف لم أجلس معه لنتحاور طوال هذه السنوات. وحين كنت في السجن هذه المرة الأخيرة وتصورت أنها ستكون بلاعودة للحياة وأنني سأقضي أجلي هناك. أذكر أنني راجعت كثيراً من أمور حياتي ومن قضاياي ومن الأمور التي فعلتها والتي لم أفعلها فكان من القضايا التي قفزت إلى ذهني لماذا لم أتناقش مع رفعت السعيد؟ وشاء الله أن أخرج وأن يكون أول حوار علني مع رفعت السعيد. فهذه مصادفة أردت أن أسوقها أمامكم لأؤكد على المعنى الذي أقصده وهو أن يكون الحوار جاداً. وأسأل الله أن يفتح صدورنا وعقولنا لبعضنا البعض. وإذا دخلنا بعد هذا في الموضوع نفسه فلابد أن أغلب الحاضرين يعلمون أنني أمرؤ تطور في حياته من حيث مواقفه الفكرية والسياسية فكما تعلمون كنت في قلب الفكر الماركسي اللينيني وناضلت تحت رايته ودفعت ثمناً غالياً من حياتي انتصاراً له ثم انتقلت بعد هذا إلى موقع الفكر القومي الراديكالي تفاعلاً وتفهماً للتجربة الناصرية ثم تطورت بعد ذلك إلى مواقع الفكر الإسلامي. وهذا الانتقال لم يحدث بين يوم وليلة وبدون مقدمات ولكنه حصيلة معاناة شديدة وقراءة وتأمل واستقراء للتجارب واستفادة من خبرتها. والموقف الحالي بداخل الفكر الإسلامي وداخل الحركة الإسلامية هو بدوره يتطور فقد انتقلت إلى هذا المعسكر منذ أوائل الثمانينات، أعتقد أنني كنت في داخل الدائرة الإسلامية ولكن أيضاً فهمي لما ينبغي للفكر الإسلامي المعاصر أن يؤديه وفهمي لما ينبغي أن تقوم به الحركة الإسلامية المعاصرة لاشك أن كل هذا أيضاً قد اتخذ أشكالاً جديدة وتطور مع مزيد من التجارب ومزيد من الابتلاءات، الأمر الذي نبدأ به في تصوير موقفي الحالي هو الإيمان بأهمية التعددية داخل الحلف الإسلامي والحركة الإسلامية. هذه القضية لاينبغي أن تغيب عن الذهن لأنها ستؤثر كثيراً في مواقف القوى السياسية الأخرى.

والتعددية الإسلامية تعنى أنه في داخل الأصول الإسلامية الواحدة التي توجه حركة المسلمين جميعاً ومعتقدات المسلمين جميعاً فإن مجال

الاختلاف في الاجتهاد في إطار هذه الأصول بلانهاية، كان هذا صحيحاً في التاريخ الإسلامي بشكل عام وهو صحيح في واقعنا المعاصر. أصبحت هذه القضية تلمس باليد، كما تعلمون في الجزائر هناك أكثر من حركة إسلامية وكل له حساباته ومخططاته يختلفون معاً ولكن لايكفر أحدهم الآخر. فكلهم يختلفون في اجتهادات داخل إطار الأصول الإسلامية. في السودان، هناك تجربة يختلف معها كثير من الإسلاميين المعاصرين في السودان أو في بلاد أخرى. وفي مصر هناك كذلك تنوع في الاجتهاد على مستوى الحركة السياسية وليس كل الداعين في مصر إلى الحل الإسلامي ينتهجون نفس السبل ويتبنون نفس التصورات لهذه الدولة الإسلامية. ومن هنا نحن لانتكلم عن أطروحة نظرية بأن التعددية في الإسلام ممكنة ولكننا نتكلم ونرصد ظاهرة حقيقية وهي ليست شاذة ولكنها تستمد مشروعيتها من الإسلام نفسه.. هكذا أقول بل أضيف أن التعددية فريضة إسلامية كما قد يكون التفكير فريضة إسلامية وهذا صحيح والتفكير بالضرورة يولد الإختلاف في الرأي ويولد بالتالي التعددية. وعلى هذا فإنني ألحظ في بعض الأحيان من كتابات د. رفعت السعيد وكتابات كثيرين آخرين حين يقولون أن الإسلام هو الإخوان المسلمون والإخوان المسلمون هم الإسلام وهذه مقولة غير صحيحة. وقد أظهرت لكم بالوقائع في الواقع المعاصر أن هذا الأمر غير صحيح. لاأظن أن الوضع في السودان وهو بالتأكيد يعلن ليل نهار أنه يسعى لتطبيق الشريعة الإسلامية وفي نفس الوقت يجاهر أنه يختلف مع الإخوان المسلمين في كثير من الأشياء.. والإخوان المسلمون هم أيضاً لاينكرون خلافاتهم مع الحكم الإسلامي في السودان. نفس الشيء في الجزائر وبالتالي حين يقال عن أي إتجاه إسلامي في مصر أنه لابد أن يكون خارجاً من عباءة الإخوان المسلمين ولابد أن الإخوان المسلمين مسئولون عنه بشكل أو بآخر.. فهذه مقولة أكاد أقول إنها تخالف وقائع تاريخية ووقائع معاصرة نلمسها وبالتالي لاداعي لان نلجأ إلى مثل هذه التفسيرات التي لاتساعد في فهم الواقع المعاصر وفي كيفية التعامل معه حين يقال إن أي شاب يلجأ للعنف والإرهاب فلابد أن يكون خارجاً من عباءة الإخوان المسلمين فهذا أمر غير صحيح تاريخياً، فالجماعات

الإسلامية عضوياً لم تخرج من الإخوان المسلمين وكذلك فإن حزب العمل - ونحن فصيل إسلامي يعمل على الساحة - لاأعتقد أننا خرجنا من الإخوان المسلمين، وبذلك فإن هذه واقعة لا تستمد مصداقية من الواقع التاريخي. إذا قيل إن كل هؤلاء خرجوا من عباءة الإسلام فهذا صحيح، كلنا خرجنا من عباءة الإسلام وكلنا استخلصنا اجتهاداتنا عبر فهمنا للأصول الإسلامية المشتركة ولكننا بالتأكيد لم نخرج من عباءة الإخوان تحديداً.

الإخوان بدورهم هم تنظيم كبير له فضل رائد خرج من الإسلام ومن أصوله. ومن غير شك وأبدى في هذا السبيل جهاداً وبذل دماً وتضحيات وابتلي فصمد.. كل هذا مفهوم ولكن بالتأكيد الإسلام أوسع من هذا، والقول بأن الاتجاهات المختلفة خرجت كلها من عباءة الإسلام مؤكد ولكن أن نقول إنها خرجت من عباءة الإخوان المسلمين تحديداً فهذا تاريخياً وواقعياً غير صحيح ولا يفسر شيئاً.

أهمية هذا ليست قضية نظرية، في فترة من الفترات وحين انهارت الخلافة العثمانية وانهارت آمال كثيرة وتطلعات لاستعادة وحدة المسلمين فكان طبيعياً أن الدعوة لاستعادة الراية الإسلامية ولإقامة الخلافة كانت دعوة أقلية، كان المناخ السائد بسبب الإحباط وبسبب طول الفترة التي عشناها مع ما كان يسمى «الرجل المريض» أي الامبراطورية العثمانية التي تهاوت بعد فترة تداع طويلة، وفي مراحلها الأخيرة لم يكن منظرها يسر ولم تكن ذكرياتها مشعة وتصور كثير من الناس أن استعادة الإسلام للسلطة وللهيمنة الحضارية والسياسية أصبح المناداة بذلك من علامات التخلف. ومع الاحتكاك الذي جاء مع الهزيمة أمام جيوش الغزاة انتشر الانبهار بالغرب وأصبحت محاكاة الغرب هي شعار كل من يريد التقدم وكان أغلبهم عن نية خالصة لإنهاض الوطن ولكن فقدوا الأمل في أدواتهم القديمة وفقدوا ثقتهم في قدرة الإسلام على التجدد بعد طول الجمود وخاصة في ضوء مرحلة التداعي التي أشرت إليها في مراحل الدولة العثمانية الأخيرة. وكانت الدعوة لاستعادة الخلافة العثمانية وللإصرار على أن الإسلام ما زال يمثل الحل الأمثل ويمثل المستقبل، صعباً قبولها من غالبية أخرى متطلعة لرفعة الأوطان. وبالتالي كان يعد هذا الرأي فتنة.

وفي حالة كهذه يُفهم أن هذه القلة وهي تسعى لنشر دعوة جديدة في مواجهة رفض عام خاصة من بين النخب الحاكمة والنخب المثقفة لم يكن هناك مجال كثير للتمحيص في حقيقة ما يقصده دعاة استعادة الدولة الإسلامية ومحاولة النهضة من جديد تحت راية الإسلام وبالتالي كان كل من يدعون هذه الدعوة ينظرون إلى أنفسهم وينظر الناس لهم باعتبارهم شيئاً واحداً وكتلة واحدة. ونحن الآن بفضل الله في حال يختلف فبعد مسيرة طويلة من الجهاد لإنهاض هذه الأمة وتوحيدها مررنا بكثير من التجارب والإبتلاءات ولا يتسع المجال في استطراد طويل حول ما جرى في هذه المسيرة الطويلة على الأقل طوال ما مضى من القرن العشرين ولكن خلاصة المسيرة التي أقررها الآن هو أنه بعد كل ما جرى وبعد كل ما امُتحنا به وبعد كل التجارب أصبح هناك ما نسميه اصطلاحاً «الصحوة الإسلامية» ومقصود بها أن جماهير الأمة ونخبها الشابة أفاقت من غيبوبة طويلة وفي ضوء كل التجارب التي مرت عليها عادت إلى تبين الحقيقة وإلى أن النهضة لايمكن أن تكون ناجحة إلا بقدر ما تكون أصيلة وذات جذور في الأرض وأن المستقبل لايمكن أن يكون محققاً للمعجزات إلا بقدر ما يكون متصلاً بشخصية الأمة وتاريخها وإنجازاتها وكل هذه الصلة بالتاريخ وبالتجارب وبشخصيتنا التي ورثناها. كل هذا يعني أن النهضة المقبلة لابد أن تكون مرتبطة بالإسلام. هذا ما سار بين الناس وأصبحت تجمع عليه العقول والقلوب خاصة في الجماهير الشابة التي لاتحول بينها وبين الحقيقة تحيزات شخصية. أقصد أن كثيرين من جيلي والذين يحيطون بهذا الجيل في السن من حيث أرادوا أو لم يريدوا؛ كل أسير ما تربى عليه وما سار فيه وهذا التاريخ الشخصي لكل منا يؤثر على سلوكه وعلى نظرته بدرجة أو أخرى وفي كثير من الأحيان يصل هذا التأثير إلى حد أنه يأبى أن يعترف بالحقائق لأنها تتنافى مع ما ألِف طول عمره على اعتباره باطلاً. الأجيال الجديدة بحمد الله متحررة من هذه التحيزات. أخذت التجربة من آخرها، استفادت مما فعلته الأجيال الشابة في كل أمتنا العربية والإسلامية الآن أصبحت ترى بأغلبية ساحقة أن الإسلام هو أساس النهضة، وأساس التقدم في هذه الأمة وفي العالم. بل يرى المسلمون

بطبيعة الحال أننا نعتبر أمتنا التي ورثناها هي أمة المنطلق ولكن الوجهة العامة هي أن ننطلق للإنسانية كلها ولنا عذرنا في ذلك وحقنا ليس فقط إيماناً بالإسلام كدين ولكن لما نراه كذلك بأعيننا من أن الحضارة الغربية السائدة تعاني حقيقة من أزمات طاحنة تسبب مآسي خطيرة لكافة مجتمعات البشر. ونرى ويرى كل مثقف بآداب الإسلام وقيمه أننا بالفعل لو استطعنا أن ننهض وأن نقيم هذه الأمة على أساس اقتصادي وعسكري وسياسي متين فإننا نملك من القيم ونملك من الرسالة ما يمكن أن يحل كثيراً من مشاكل البشر تحت ظل الحضارة الغربية المادية العلمانية القائمة.

إذن، استفادة من التجربة، وبتعلم ما يقوم عليه ديننا وما تقوم عليه حضارتنا أصبح هناك وعي متزايد وإقبال متزايد على قبول الإسلام أساساً للنهضة وحلاً مقبولاً. حين يؤخذ الموضوع بهذا الاتساع، فإذن هنا تأتي قضية أن التنوع في الاجتهادات لابد أن يكون قانوناً، وبالضرورة لايمكن أن نتصور أن يكون هناك إجماع أو ما يشبه الإجماع بين مئات الملايين من البشر ويظلون جميعاً متفقين في كافة التصورات، في كافة الاجتهادات، في كافة التطلعات إلى المستقبل هذا أمر غير إنساني وغير مطلوب والإسلام ينهانا عن ذلك وقد أباح لأمته حق الاجتهاد وحق الاختلاف. ومن هنا لم يعد مقبولاً أن نأخذ كل دعاة الحل الإسلامي باعتبارهم شيئاً واحداً بل نختار أكثرهم جموداً وتخلفاً ونقول كلهم بهذا الشكل. وبما أنهم كلهم بهذا الشكل إذن هم مرفوضون وكل ما يقولون به.. أظن أن هذا نوع من أنواع الظلم والحكم السطحي غير الواقعي وقد أشرت في بداية حديثي أن في كل بلد كأمر واقع هناك اختلافات في الاجتهادات تؤدي إلى إختلاف في الحركات السياسية وبالتالي فالبنسبة لاي محكم أو لأي مراقب حين يقول إنني أتفق وأختلف فلاينبغي أن ينظر للظاهرة بأكملها فيقبلها جملة أو يرفضها جملة وإنما ينبغي أن تكون نظرته أكثر تدقيقاً حتى يحدد مع من يختلف ومع من يتفق، ويتفق مع هذا عند أي قدر ويختلف مع ذاك إلى أي قدر، حتى تكون الأمور واقعية وتكون إدارة الأمور السياسية بالشكل الذي نفهمه.

لقد كانت الحركة الشيوعية في بدايتها، يُنظر إليها من أعدائها وحلفائها معاً أنها شيء واحد مصمت. مجموعة من التعاليم المحددة الواضحة التي لاترضى بالخلاف والكل يتفق فيها ويلتقى عندها ولاتفرق بين شيوعي وآخر، حين اتسعت الظاهرة وأصبحت ظاهرة وأصبحت شعوباً وقبائل ودولاً وآسيا وأفريقيا وأوروبا إلخ.. كان طبيعياً أن يُعترف بأنها كأي عقيدة بشرية وكأي تجربة بشرية متى اتسعت لملايي،ن فإنها تصبح لها شروحها ولها تفسيراتها، وبالتالي ينبغي أن تحدد الموقف من هذه الظاهرة لاجملة واحدة، فتقبلها جملة أو ترفضها جملة وإنما لابد من أن تنظر إليها، فأصبح هناك ما يسمى الصينيون وأصبح هناك من قال لهم الروس وإلى آخره ممن يذكرون هذا التاريخ.

نحن الآن الظاهرة المعاصرة ذات الأبعاد الدولية والصاعدة وهي تجربة النهوض الإسلامي المعاصر في قارات العالم المختلفة خاصة في آسيا وأفريقيا مع بعض الامتدادات في أوروبا. هذه الظاهرة باتساعها، لابد أن نلحظ التنوع والاختلاف الفكري. في ضوء هذا أختلف مع الواقع المصري لانني لاأريد من المقدمة السابقة مجرد أن أسرح في الخيال وأن أناقش قضية نظرية عامة، ولكنني أردت من هذا التقديم أن نكون أكثر قدرة على الاقتراب من واقعنا والتعامل معه بشكل صحيح يؤدي إلى خير بإذن ا لله.

في مصر: من ينكر الان أن في مصر ما نسميه «بالصحوة الإسلامية المعاصرة» أصبح مداً عارماً وأنه هو المحرك للحيوية الاجتماعية والسياسية في هذه الأمة يكون مغالطاً لما يشهده أي إنسان بعينه!! ومرة أخرى أشير بشكل خاص إلى الأجيال الموجودة. حين يقال، البعض يتكلم حول أن البلد نايمة. «ياعم الناس دول ناس ولاد كلب ما فيش فايدة فيهم، وحقيقة هذه لاتمثل أزمة الشباب الإسلامي وإذا نظرنا إلى الأمة في منظور الحركة الإسلامية فإنها في أزهى عصورها من حيث الحيوية الاجتماعية والسياسية.

القضية إذن أنّ هؤلاء الذين يعزلون أنفسهم عن نور ا لله، عن هذه الحركة الصاعدة، هم الذين يشعرون بأنهم معزولون وأنهم لايستطيعون أن يحركوا الجماهير، فيتهموا الجماهير بأنها سلبية، والصحيح أن الجماهير

ليست سلبية ولكن أنتم الذين لاتعبرون عن طموحات الجماهير. وعليكم أن تستوعبوا هذا الدرس حتى تكونوا جـزءاً مـن الحركـة التاريخيـة الصـاعدة ولاتنعزلوا عنها. أما إذا أخذنا من هم مرتبطـون بشـكل أو بـآخر بالحركـة الإسلامية فإنهم لايمكن أن يشكوا سلبية النـاس أو انعزالهـم عـن الجهـاد والتضحية وعن تحقيق التقدم، فالمعارك في كافة الاصعدة وفي كافة الاشكال تجرى في هذا البلد على نحـو لم يكـن بـالقوة والحيويـة الـتي نشـهدها في عصرنا هذا وفي أيامنا هذه. وفي هذه الحركـة الواسـعة أوضحـت انهـا تتـم تحت رايات مختلفة وباجتهادات وتصورات مختلفة.

ويجب على المثقف الجـاد مـن غـير الإسـلاميين ألا يتعـالى علـى هـذه الحركة التاريخية الجبارة فلم يعد مقبولاً أن يقف المثقفون موقفاً متعالياً في حين أن الجماهير لها خيار واضح. وليتنا نستطيع أن نمارس المنهج الـذي يحرص على المتابعة النقدية لفكر الإنسان. وفي ضوء ذلك فإن عدم الاهتمام بظاهرة الإسلام المعاصر يؤدي إلى عدم التفهم لأهمية مـا نسـميه الاسـتقلال الحضاري بكلّ ما يولده في أبناء الأمة بالقدرة على العزة.

وسوف تترتب نتائج خطيرة إذا ظللنا بعيدين عن فهم مغزى الاكتشاف التاريخي لشباب هذه الأمة لظاهرة الإسـلام المعـاصر، وهكـذا.. إذا اسـتمر هذا الإنقسام بين جمهور واسع أمسك بحقيقـة الإسـلام وبـين مـن يصـرون على أن هذا كله كلام فارغ وبالتالي ننتهي إلى ظاهرة التغرب.. وإذا اسـتمر هذا الانقسام في شخصية الأمة فسوف يؤدي إلى نتائج خطـيرة في المواجهـة مع أشرس هجمة نواجهها مع القوى الصهيونية.

ولعلنا نعلم أن المتدينين بـين الصهاينـة قليلـون ولكـن كلهـم متعصبـون للتراث اليهودي. لن تجد فيهـم مـن «يفـاوض» يـوم السـبت لأن هـذا هـو تاريخ الشعب اليهودي ومـن إبداعـه.. وهـذا الـدرس هـام لنـا.. نحـن قـد نختلف عنهم فـإن غالبيتنـا تؤمـن بالإسـلام كديـن (وكلامـي أيضـاً يعـني الاخوة المسيحيين)، فالإسلام إن كان دين الغالبيـة فهـو التـاريخ المشـترك للكل والسلوك السائد للمسيحي لايختلـف عـن سـلوك المسـلم. نحـن أمـام إرث حضاري مشترك حتى ولو اختلف الديـن.. ولـو اتسـع الأمـر فسـوف يقيم أساساً صلباً في مواجهة المشروع الصهيوني والأمريكان؟.

أفكار حزب العمل

إن حـزب العمـل قـام علـى الأفكـار الـتي أوردت بعضهـا في حـدود الوقت.. وعلى هـذا فـإن الإسـلام هـو ديـن للغالبيـة لكنـه حضـارة لكـل المصريين والعرب.

ويمثل حزب العمل تجـاوزاً لخلافـات المـاضي بـين عديـد مـن القـوى السياسية .. ستجد في لجنتنا التنفيذية قياديين كانوا في السـابق نـاصريين أو شيوعيين أو إخواناً مسلمين وتطوروا وتجاوزوا ما كانوا فيه وتبنوا أفضل ما في الفكر الإنساني والحضارة الإسـلامية لكـي يشـكلوا نسـيجاً جديـداً.. وهذه الصيغة تستجيب للتحديات التي تواجهها الأمة ونحن نمثل تجربـة جديرة بالتأمل.

وأدعو إلى قيام جبهة لمواجهة الهجمـة الصهيونيـة.. والإسـلام أساسـه مهـم جـداً لقيـام هـذه الجبهـة وإذا كـانت هنـاك خلافـات مـع بعـض الاتجاهـات الإسـلامية فينبغـي ألا يمتـد ذلـك للاتجاهـات الإسـلامية الأخرى، وأظن أن كثيراً من الخلافات التي يعبر عنها حزب التجمع مـع بعـض التيـارات الإسـلامية لاتطـول حـزب العمـل الـذي يُمثـل نموذجـاً ولايختلف ما يطرحه التجمع في مواجهة الهجمة الصهيونية عما ينادي به حزب العمل. وينبغي على حزب التجمع أن يعيـد التفكـير في موقفـه مـن الاتجاهات الإسلامية

عقب انتـهاء كلمة عادل حسين تحدث د. رفعت السعيد فقال:

كان الشافعي علـى المنـبر عندمـا سـأله رجـل سؤالاً فقـال الشـافعي: «لاأعلم» قال الرجل: «وهل هذا مقام من لايعلم»؟ فأجاب الشـافعي: «نعـم هذا مقام من لايعلم فمن عنده علم بكل شيء لامكان لـه سـبحانه وتعـالى». **هذه إشارة أولى.**

الإشارة الثانية جاء في الصحيحـين عـن علـي بـن أبـي طـالب قـال: سمعت رسول الله يقول سيخرج قوم في آخر الزمان حداد الأسنان، سـفهاء الأحلام، يقولون من خير قول خير البرية، لايجـاوز إيمـانهم حنـاجرهم،

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. «فإن لقيتموهم فاقتلوهم. فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة». هذا حديث أتمنـى أن يكـون شـعاراً لمواجهتنا للارهابيين القتلة.

في اللغة العربية، فلتأذنوا لي أن أتحدث. أرفض أن يسمى التيار الذي نحن بصدده بالاصوليين، فـالاصوليون هـم الراغبـون في العـودة إلى الأصـل والأصل جليل ومفترض فيه كلية الصحة ونحن نعتقد أنهـم ليسوا كذلـك. وأرفض أن نسميهم بالمتطرفين. فالتطرف لغة هو الوصول إلى أقصى الشـيء وليس الخروج من حدوده كما جـاء في مختـار الصحـاح مـن بـاب طـرف والطرف الناحية أو الطائفة من الشيء ويقال فلان كريم الطرفـين أي يـراد به نسب أبيه وأمه. ونحن نعتقد أنهم في مواقف عدة يبتعدون عـن حـدود الاصل. ونرفض أن نسميهم بالسلفيين فالسلفيون هـم الراغبـون في الاقتـداء بالسلف. وسلف الرجل هم آباؤه المتقدمون. ونحن لانعتقد فيهم ذلك. كمـا نرفض أن نسـميهم بـالصحوة الإسـلامية أو بالتيـار الإسـلامي أو الجماعـة الإسلامية فالإسلاميون أو الإسلامي صفة والصفة عند النحويين هي تميـيز الشيء عما عداه. وإن أضيفت إليها «أل». إذا قلنا الإسـلامي فإنهـا تعـني استغراق الشيء كله لتمييزه جملة عما عداه. كأن نقول الشعب المصري كي نميزه عما عداه. فإن اتفقنا على أنهم التيار الإسـلامي فغـيرهم يكـون غـير ذلك. ولهذا ائذنوا لي أن أسميهم «بالمتأسلمين». والتاء هنا تعني فعل شـيء «كـأن تفعـل» فـإن تـأخرت عـن الاسـم كـانت ضـميراً وإن تقدمـت كـانت علامة، وهي علامة عندنا على التشبه بشيء لكنهـا ليسـت الشـيء ذاتـه. فأنت تقول تأسلم كما تقـول تـأقلم وتمسـكن وتـأرجح في مشـيته أي تشبه بالأرجوحة لكنه ليس كذلك.

الهامش الثالث هو أنه يتعين علينا أن نميز العنصر الإيماني في الديـن وبين العناصر السياسية والاجتماعية الأخرى، هذا التمييز هو الذي يمكنـه أن يفسر لنا عدم تلازم عنصر الإيمان مع تصاعد او هبوط النشاط السياسـي والاجتماعي، فهنا عنصران غير متلازمين، قد يصعد أحدهما ويهبط الآخر فإن تلازما معاً كنا أمام ظاهرة غريبة. وإلا اعتبرنا أن تلك المذابـح البشـعة التي جرت في لبنان بين شيعي وسني، ثـم بـين شـيعي وشـيعي، أو تلـك

المذابح المجرمة التي تقع في أفغانستان بين كل من يدعي أنه من المجاهدين. إنها دليل صحوة لإسلامية، فذلك شيء وصحيح الدين شيء آخر.

الخيمة واحدة

الملاحظة الأخرى هي أنني أعتقد أن الجماعات المتأسلمة ثلاثة أقسام. جماعة الإخوان، والإرهابيين المتمثلين في الجماعة التي تسمى نفسها بالجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، وأحزاب أخرى مثل حزب العمل وحزب الأحرار. وابتداءاً أسجل أنني لست اتفق مع صديقي الأستاذ عادل حسين في أن الجماهير لها اختيار واضح هو الصحوة التي ينادي بها هو فذلك رأيه. ومن حق كل طرف أن يعتقد أن رأيه صحيح. لكن من حقنا قبل أن نقرر التفريق إلى ثلاثة أقسام أن نسجل أن الخيمة واحدة وأن الوعاء الفكري واحد. وهذا ما سأكرس كامل وقتي لتأكيده.

لكن ما يهمني هنا هو أن أقرر أنني أجهدت نفسي كثيراً لكي أتمكن من التفرقة بين مقولات حزب العمل وجماعة الإخوان المسلمين وفشلت. فإن أتيت بجريدة الشعب ورفعت اسم الأستاذ مصطفى مشهور من على مقاله ووضعت مكانها الأستاذ إبراهيم شكري أو الأستاذ عادل حسين أو الأستاذ مجدي أحمد حسين لسار الأمر مساراً طبيعياً ولما لحظ أحد الاختلاف. نحن إذن لاندعي أن أحداً يرتبط بأحد أو شيئاً من هذا القبيل. لكننا نقول إن الخيمة الفكرية واحدة ومن هنا فإن من حقنا أن نتعامل علي أساس الخيمة الفكرية وهذا التعامل ليس فقط في مجرد الحديث وإنما أيضاً في السياسة.

من أين يأتي التطرف؟ من ستة أبواب أولها: القول بأن لجماعة ما الحق في أن تدعى أنها «جماعة الإخوان المسلمين». وليس «جماعة من المسلمين» وجماعة المسلمين هم أهل الحل والعقد في الإسلام من والاهم فقد والى صحيح الدين ومن فارقهم فقد فارقه. ثم ومن خرج على الجماعة فاضربوه بحد السيف. فلعل الأستاذ حسن البنا كان أول من نفذ ذلك في العصر الحديث إذ قال في «مذكرات الدعوة والداعية» إنه عندما اختلف معه بعض زملائه أمر بضربهم فضربوا بتعبيره علقة ساخنة. وهو كان

رجلاً دائماً ينتقي ألفاظه ولست أدري كيف استخدم هذه الألفاظ، لكنه أضاف: «ومن خرج على الجماعة فاضربوه بحد السيف». ففي اعتقادنا أن صفة جماعة المسلمين لايمكنها أن تسرى ولايجوز لها أن تسرى على أية جماعة أو أي حزب أو أية فئة مهما اتسعت وحتى مهما اقتربت من صحيح الدين وإنما هي تعنى الرأي العام المسلم والمصلحة العامة للمسلمين بمجموعهم وشموليتهم ذلك أن اختصاص أية جماعة بهذه الصفة يفتح الباب واسعاً في التكفير لان من خرج عن الجماعة فاضربوه بحد السيف.

يقول الأستاذ المرشد حسن البنا:

«أتحسب أن المسلم الذي يرضى بحياتنا اليوم ويتفرغ للعبادة ويترك الدنيا والسياسة للعبثة الآثمين، يُسمى مسلماً؟ كلا إنه ليس بمسلم» وطبعاً أنتم تعلمون معنى أنه ليس بمسلم. وهكذا فإن افتقاد «مِنْ» يؤدي بنا إلى اعتقاد كل جماعة أنها هي أهل الحل والعقد في الإسلام. بل إن حسن البنا يقول في مذكرات «الدعوة والداعية» وهو يتحدث عن مقررات المؤتمر الثالث للجماعة «على كل مسلم ـ وهذا رد على كلام عادل حسن ــ أن يعتقد أن هذا المنهج أي منهج جماعة الإخوان المسلمين كله من الإسلام وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة».

أما شكري مصطفى، وليس صحيحاً أن الجماعات الإرهابية خرجت من وعاء مختلف وعادل حسين يعرف ذلك أكثر مني، أن الأخ شكري مصطفى كان أخاً مسلماً وكان مسجوناً في سجن طره مع الإخوان المسلمين وأنه ليس سوى قطبي أي من أتباع سيد قطب لكنه مد الخط على استقامته. يقول شكري مصطفى في كتابه «التوسمات» «إن الإسلام ليس بالتلفظ بالشهادتين ولكنه إقرار وعمل ومن هنا كان المسلم الذي يفارق الجماعة المسلمة ـ وهذا اسم التنظيم الذي يترأسه ـ كافراً».

الفهم النصي

الباب الثاني للتطرف هو الفهم النصي للقرآن والسنة، والمسلمون تاريخياً يتعاملون مع النص القرآني والأثر النبوي بطريقتين إما الفحص

النصي أو الفحص الاستدلالي أي استعادة التجربة والسبب والواقعة التي نزل بسببها النص وتظن النص على هذا الأساس.

كان الخوارج يأخذون بالتفسير النصي للقرآن فلما عرضت عليهم الآية الكريمة التي تقول على لسان نوح عليه السلام «وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجراً كفاراً» فأفتوا بقتل الرجال والأطفال حتى لايشبوا كافرين ويلدوا كفاراً. أما الآية الكريمة «فقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين» فقد جعلتهم يقتلون ويعذبون ويتشفون معتقدين أن هذا هو صحيح الإسلام. يقول ابن حزم في كتابه «الصفة». كان الصحابي الجليل عبد الله بن خباب يمضي ومعه زوجته في طريق به جماعة من الخوارج فحاول البعض منعه لوجود الخوارج فرفض وقال لهم دعوني وعلق المصحف في عنقه ومضى. فأمسك به الخوار؟ وقالوا: إن هذا المصحف الذي في عنقك يأمرنا بقتلك فقال كيف؟ فقالوا له ما قولك في أبي بكر قال خيراً، فما قولك في عمر قال خيراً، فما قولك في عثمان قال خيراً، وما قولك في علي وقبوله التحكيم، قال علي أعلم مني ومنكم بالقرآن. فأخذوه على حافة النهر وذبحوه أمام زوجته. ويمضي ابن حزم قائلاً: «وكان إلى جوارهم ضيعة صغيرة لأحد النصارى - وهذا هو الكلام الذي يوجهه عادل حسين للنصارى - فذهبوا إلى صاحبها فقالوا له بع لنا بعضاً من تمر قال خذوه بلا ثمن قالوا لكن ديننا ينهانا عن ذلك فقال لهم اتقتلون ابن خباب وتحافظون على تمري؟؟؟ لكن صاحبياً آخر أدرك قواعد اللعبة فكان يمضي في ذات الطريق قالوا له قتلوا ابن خباب قال لهم دعوني وتعالوا معي وسوف أمرق بكم منهم، فمضى فسأله الخوارج من أنت قال نحن مشركون، قالوا ابتعدوا، قال مشركون نستجير منكم، قالوا ابتعدوا، قال ألم تسمعوا بالآية الكريمة «فإن أحداً من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله» فجلسوا وأسمعوهم كلام الله فقالوا لهم امضوا في حال سبيلكم فقال لهم ألم تسمعوا لبقية الآية التي تقول «حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه». فأرسلوا معهم حراساً حتى أبلغوه مأمنه، هكذا يكون التلاعب بالنص ومن هنا يأتي التطرف من التلاعب بالنص، أما الفهم

الاستردادي للنص فإنه هو الذي يضع النص في إطاره الصحيح ويجعلنا قادرين على فهمه. فالإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة على أساس الفهم الاستردادي لهما أما كتب الفقه جميعاً فهي اجتهادات بشرية متعلقة بزمانها وبمكانها وتحتمل الاختلاف معها سواء في زمانها أو في مكانها أو في رؤيتها. وبطبيعة الحال تختلف الروايات ولو أخذنا براوية الفقهاء لالتبس علينا الأمر. فالطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك يورد في صفحة واحدة هي صفحة ٨١ أربع روايات عن إبليس منها ثلاث متناقضة، وكل منها منسوبة إلى ابن عباس. وابن عباس واحد من أشهر رواة الحديث. لكن الطبري كان عاقلاً فأورد العبارات بجوار بعضها البعض ليقول للناس حكموا عقلكم في الروايات، واختاروا ما يستريح إليه عقلكم وضمائركم كمسلمين. أما أن يأتي أحد ويفرض علينا رؤية فذلك اجتهاد إنساني. هو بشر ونحن بشر. هو يعرف الإسلام ونحن نعرفه والله أعلم من منا يعرفه أكثر.

الباب الثالث هو تسييس الدين أو تديين السياسة وهو خطأ في اعتقادنا في حق الدين وفي حق السياسة وفي حق البشر. فالدين إلهي شمولي كلي الصحة، والسياسة فعل إنساني. ومن ثم فإن الخلط بينهما هو محاولة للخلط بين ما هو إلهي وبين ما هو إنساني، ويضفي حصانة دينية على أفكار ومواقف وأقوال سياسية تحتمل الصحة والخطأ. والسياسة تحتمل المناقضة والرد والنقد والمعارضة، لكن الحصانة الدينية تحول دون ذلك فماذا ستقول لفرد يقول القرآن دستورنا وهل نرد عليه بأنك غلطان أم تخضع له، أو إذا قال الاسلام هو الحل هل تقول له أنت مخطىء أم تخضع له. كما أن تديين السياسة يحتاج صاحب الرأي السياسي ذو المسحة أو الغطاء الديني إلى الاعتقاد بصحة ما يقول صحة مطلقة. وإن مخالفته مخالفة لصحيح الدين ومن هنا يأتي التكفير أو يأتي الاعتقاد بأن الجماهير تتبعهم.

كان الإخوان هم أول من دعوا إلى تسييس الدين وتديين السياسة ودعوا إليها مؤذنين بالدماء. والشيخ حسن البنا لم يقل شعراً كثيراً لكنه قال هذه الأبيات:

الديـن شـيء والسياسـة غــيره

دعـوى نحاربهـا بكــل ســلاح

قـد جـاء طـه عـابداً ومجـاهداً

دك الحصـون وقـص كـل نجـاح

أما الأستاذ عبد الحكيم عابدين فقال شعراً:

لنجرينهــا دمــاء جــد بشــائره

وثـورة الحــق لايــدري لهــا أمــد

أو يصبـح الشـرع دسـتوراً لأمتنــا

فليحـذر القـوم إنـــي منــذر صعــد

ولكن أي تسييس للدين يريدون؟

لقد قرر الشيخ حسن البنا أن يسيس الدين لكنه في ذات الوقت يطالب بحل كل الأحزاب: «لقد آن الأوان أن ترتفع الأصوات للقضاء على نظام الحزبية في مصر وأن يُستبدل به نظام تجتمع فيه الكلمة وتتوفر جهود الأمة حول منهاج قومي إسلامي صالح». وفي «الرسائل الثلاث» قال حسن البنا «وحل الأحزاب السياسية سيتلوه قيام حزب واحد على أساس برنامج إسلامي صحيح. ولابد من جديد لهذه الأمة وهذا الجديد هو تعديل الدستور تعديلاً جوهرياً توحد فيه السلطة».

ثم قال في كتابه «مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي» ولمن شاء التدقيق ص ٦٠: «إن أهل الشورى يكونون إما من رجال الدين أو من الرجال المتمرسين على القيادة مثل رؤساء العائلات والقبائل. ولاتكون الانتخابات بمقبولة إلا إذا أسفرت عن أناس من هذين الصنفين». ويردد أبو الأعلى المودودي المفكر الأعلى لهذه الجماعات هذه العبارة: «الإسلام لايجعل من كثرة الأصوات ميزاناً للحق فإنه من الممكن في نظر الإسلام أن يكون الفرد أصوب رأياً وأحد بصراً في مسألة من المسائل من سائر أعضاء المجلس فالأمير له الحق أن يوافق الأغلبية أو الأقلية في رأيها وكذلك له الحق في

أن يخالف أعضاء المجلس جميعاً فيقضي برأيه هو. وأذكر أن صالح عشماوي قال: «في بداية عهدي بالدعوة سألت الأستاذ الإمام فقال من حقك أن تخالف إجماع الهيئة فقال من حقي كأمير»، إذن نحن إزاء حالة غريبة جداً. تسييس الدين، والحزب الواحد ويقوم هذا الحزب بتوحيد السلطات ويلغي التفرقة بين السلطات الثلاث وبعد توحيدها يحكمنا أمير والأمير لايخضع لإجماع أهل المجلس وإنما من حقه أن يفتي برأيه هو! ! هذه هي التي يدعون أنها الديمقراطية الإسلامية ولكن الإسلام من ذلك بريء. ويقول ابن الأعلى المودودي «أن المبدأ الرئيسي للديمقراطية الجديدة أن الناس بيد أنفسهم حكمهم وتشريعهم وإلى أنفسهم كل التصرف في القوانين، يصنعونها كما يشاؤون ومن البديهي أنه إذا كانت قوانين الحياة الاجتماعية تابعة للرأي العام، وكانت الحكومة كالعبد لآلة هذه الديمقراطية الجديدة فلابد لسلطات القانون والسياسة أن تصون المجتمع من الانحلال الخلقي. أي إذا أعطينا الحق للأغلبية في التشريع فلايمكن لسلطات القانون والسياسة أن تصون المجتمع من الانحلال الخلقي ولايكون للحق والخير والصلاح مقياس غير كثرة الأصوات في حق هذا الجانب أو ذاك لأن اقتراحاً مهماً بلغ خبثه وضرره إن كان قد نال من رضا العامة ما يكسبه أصوات ٥١٪ فلا شيء يمنعه أن يسمو إلى مرتبة الشرع».

إن تسييس الدين يؤدي إلى الخلط بين جماعة سياسية وبين الدين ذاته وهم حريصون على هذا الخلط أي ما يسمى الخلط بين الدين والفكر الديني. الدين شيء جليل كلي الصحة، أما الفكر الديني فمتاع بشري والفارق واضح. لكن الإخوان ـ وهذا رد على اتهام عادل حسين لنا بالخلط بين الإسلام والإخوان المسلمين ـ وأقول له لسنا نحن الذين نخلط بين الإسلام والإخوان المسلمين. ولكنهم هم الذين يفعلون ذلك. وصالح عشماوي كتب في مجلة الدعوة عدد ١٩٥١/٤/٢٤، «إن أي اضطهاد للاخوان هو اضطهاد للاسلام». والأخ عبد القادر عودة وهو يقود المظاهرات في مارس ١٩٥٤ احتجاجاً على سجن بعض الإخوان وقف يهتف قائلاً «الإسلام سجين».

الغالب يحكم

وسأل أحد أعضاء التنظيم سيد قطب ــ وهـذا وارد في إعترافـاتهم ــ في مدى جواز أكل ذبيحـة المسلمين مـن غـير أعضـاء التنظيـم قـال: «دعهـم يأكلوها فليعتبروها ذبيحة أهل الكتاب». أي أن من لاينضـم إلى جمـاعتهم يكون في أحسن الأحوال من أهل الكتاب. وسيد قطب في كتابـه «في ظـلال القرآن» في الجزء السادس ص ٣٩٨٤ يقول «والمسلم الذي لاينتمي إلى حركة إسلامية حقة كان قلبه مفتقراً إلى حقيقة الإسلام». وفي كتابه «هــذا الديـن» يقول: «حتى إذا كان المسلم مؤمناً حق الإيمان فإنــه سـيظل شـقياً، حتـى ينضم إلى الجماعة». الأستاذ سيد في كتابه «خيوط خطة» ـ وهذا اسم كتاب سري كتبه ووزعه علي الإخوان ـ يقول «جماعة الإخوان ليست قطاعاً مـن هذا الشعب. ولاقطاعاً من المجتمع العربــي أو العـالمي وليسـت مـن رعايـا الحكومة المحلية، إنها كينونة جديدة تنشأ منفصلة عن هـذه التشـكيلات الوطنية والقومية والعالمية، فمن ثم فمعنى بيعة الإخـوان للمرشـد هـو إننـا نقيم لنا قيادة غير قيادة الشعب، وإمارة غـير إمارتـه وأننـا نخلـع طاعتنـا وولاءنـا لمحكوميـة هـذا الشـعب ــ ولاحظـوا أنهـم لم يقولــوا لمحكوميــة الحكومة ـ لنسلمها إلى أميرنا».

أما الباب الرابع للتطرف فهو القول بوجوب وجود حكومـة دينيـة أي ما أسماه عادل حسين أحياناً بالخلافة. وفي العصر الحديث أول من نـادى من السياسيين بالخلافة هو أيضاً الأسـتاذ حسـن البنـا وهـذا يوضـح أنهـم جميعاً متشابهون وهو ما يتنصلون منه، قال حسن البنا إن الخلافة شـعيرة إسلامية، وقال إن الخليفة هو الإمام الذي هو واسطة العقد ومجمع الشـمل ومهوى الأفئدة وظل ا لله في الأرض. وقال الشيخ عمـر عبـد الرحمـن نفـس الكـلام: «الإمامـة في الإسـلام موضوعـة لخلافـة النبـوة في حراسـة الديــن وسياسة الدنيا والخليفة في الإسلام مهمته وراثة النبوة». يعني أحدهم يقول ظل ا لله في الأرض والآخر يقول وراثة النبـوة. بـل إن الجماعـة الإسـلامية الجهادية في كتابها «ميثاق العمل الإسلامي» وهو أيضاً كتاب سري يقولون إننا نسعى إلى إعادة الخلافة على النمط الوارد في الكتــب الشـرعية بمـا في

ذلك السماح بإمارة المتغلب وهي عبارة تعني أن «الغالب يحكم»، بالقوة والسيف، إذن لاديمقراطية فمن يتغلب يحكم وبأي وسيلة ليس مهماً. ويقولون «وتعدد الأحزاب في المجتمع المسلم مرفوض فلايوجد في المجتمع المسلم إلا حزبان حزب ا لله المأمور بإقامته وحزب الشيطان وقيامه ممنوع» وهذا الكلام هو نفس ما تقوله جماعة الإخوان المسلمين. ويقول إن «الحكم الديني هو محض استنباط لحكم ا لله». وهذه كارثة أخرى فسيصبح كل كلامهم استنباطاً لحكم ا لله ولن يجرؤ أحد على المعارضة.

يقول الآمدي وهو أحد كبار الفقهاء في «غاية المراد في علم الكلام» وهذا الكتاب ليس من إصداري ولكنه من إصدار المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية سنة ١٩٧١، «إن الكلام في الإمامة ليس من أصول الديانات ولا من الأمور «اللابديات» ـ من باب لابد ـ أي من الضروريات الدينية بحيث لايسع المكلف الإعراض عنها والجهل بها بل لعمري لأن المعرض عنها أرضى حالاً من الواغل فيها فإنها لاتنفك عن التعثر والأهواء وإثارة الفتن والشحناء والرجم بالغيب في حق الأئمة والسلف بالإغراء وهذا كون الخائض فيها سالكاً سبل التحقيق فكيف إن كان خارجاً عن صواب الطريق».

لكن لدينا مشكلة هي أن الرسول (ص) لم يترك وصية ولم يحدد للمسلمين شكل الحكومة الدينية، ولم يحدد لهم شكل الحاكم ولا اسلوب اختياره. ولما اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ذهب أبو بكر وعمر إليهم وقالا: يامعشر الأنصار فإنكم لاتذكرون عنكم فضلاً إلا وأنتم له أهل، لكن العرب لاتعرف هذا الأمر ـ أي الخلافة ـ إلا لهذا الحي من قريش. ويوجه أبو بكر حديثه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج:

علمنا يا سعد أن رسول ا لله (ص) قال وأنت قاعد «قريش ولاة هذا الامر» فقال سعد: صدقتم وصدقت فنحن الوزراء وأنتم الامراء.

وهنا يحدد الفقهاء شروط الإمام فهو عند جمهور أهل السنة أن يكون مسلماً ذكراً بالغاً عاقلاً وقرشياً. ولكن الشيخ عمر عبد الرحمن أضاف «على الأرجح» لأنه ليس قرشياً!! إذن كيف يكون إماماً فقالوا «على الأرجح».

وأئمة المذاهب الأربعة متفقون على ذلك، سندهم الحديث الشريف «الأئمة من قريش» ولكن الإمام نجم الدين النسفي المسمى بإمام الفقهاء في كتابه «العقائد النسفية» يشترط في الإمام أن يكون من قريش ولايجوز من غيرهم. فهل يمكن؟.

يقول القاضي عضد الدين في كتابه «المواقف» الذي يُعتبر من أهم كتب أهل السنة «إن وجوب نصب الإمام على المسلمين يتحقق إذا وجد شخص مستجمع لشروط الإمامة وإلا فلايجب». إذن لماذا تثار تلك الأمور مرة أخرى، لأن هناك (من يتهيأ له) أن تجتمع فيه شروط الإمامة، وسمى نفسه ابتداءً خادم الحرمين الشريفين. وبدأنا نسمع الدعاوي إلى الاسلام السعودي في محاولة لنصب خليفة هناك. لكن الرسول يسد الطريق على الجميع، ومحدثيهم فيقول في حديثه الشريف «الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ثم تصير ملكاً عضوضاً». الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ليس أكثر. الذي فهم هذه الحكاية جيداً معاوية فقال:

«أنا أول الملوك» وكان الرسول قد قال ثلاثين سنة وانتهت الثلاثون سنة فجاء معاوية وقال: أنا أول الملوك. وعندما زار المدينة استقبله سكانها مرحبين لكنه وقف قائلاً: «أما بعد.. فإني وا لله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولامسرة بولايتي ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، أيها الناس اعقلوا قولي فلن تجدوا أعلم مني بأمور الدنيا والآخرة».

أما زياد بن أبي سفيان والى معاوية على البصرة فقال:

أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم رادة نسوسكم بسلطان ا لله الذي أعطانا. ثم أرادها معاوية وراثية فجلس في مجلس البيعة ووقف يزيد بن المقفع ليلخص نظرية الحكم فقال:

«أمير المؤمنين هذا» وأشار إلى معاوية. «فإن هلك فهذا» وأشار إلى يزيد. و«من أبى فهذا» ورفع السيف فقال معاوية «أنت سيد الخطباء».

بل إن قائد معاوية مسلم بن عقبة الذي ذهب إلى المدينة ليفرض عليها مبايعة يزيد أشاع القتل والدمار والسبي في بنات المدينة. ويقال إن رجاله قد فضوا بكارة ألف بكر من بنات المدينة. ورمى الكعبة المشرفة بالمنجنيق،

وصمم على أخذ بيعة الناس هناك كالعبيد، فمن قال بايعته على كتاب الله وسنة رسوله قتله لأنها بيعة مشروطة. قال: أريد بيعتكم كعبيد بغير شرط.

أما يزيد نفسه فكان سكيراً لايفيق. أما الوليد بن يزيد فيصفه السيوطي بقوله «كان فاسقاً شريباً للخمر منتهكاً حرمات الله، أراد أن يحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه، أما الوليد بن عقبة الذي ولاه عثمان على الكوفة فكان يشرب الخمر مع ندمائه طوال الليل حتى الصباح، فلما أذنّ المؤذن تقدم إلى المحراب سكراناً وصلى بالناس أربعاً، والتفت إليهم قائلاً: هل أزيدكم؟ ويرفع السيوطي تحت شعار «تأسلم حتى تتمكن».

عندما يحكمون؟!

ويتظاهر البعض بالتقوى الآن ولانعرف ماذا سيفعلون عندما يحكموننا. لكننا نشير إلى قول جاء في السيوطي، كان يتحدث عن الخليفة عبد الملك بن مروان الذي حكم من ٧٣ هـ - ٨٦هـ، يقول «كان عابداً زاهداً ناسكاً في المدينة قبل الخلافة». وقال نافع عنه «ما رأيت في المدينة شاباً أشد تشميراً، ولاأفقه ولاأنسب ولاأقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان حتى سماه الناس «حمامة المسجد». فلما أتاه خبر مبايعته بالخلافة كان المصحف في حجره فأطبقه قائلاً: هذا آخر عهدنا بك، ووقف في الناس خطيباً وقال: «أيها الناس لست بالخليفة المستضعف (مشيراً إلى عثمان) ولابالخليفة المداهن (مشيراً إلى معاوية) ولا بالخليفة المأثوم (مشيراً إلى يزيد) ألا إني لاأداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، والله لايفعل أحد فِعْلة إلا جعلتها في عنقه، والله لايأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه». هكذا تأسلم عبد الملك بن مروان حتى تمكن من الخلافة. فماذا يضمن لنا إذ يفعلها فينا المتأسلمون فيما بعد؟.

لو كانت مسألة الخلافة كما يظن البعض من المسائل الدينية الرئيسية، لبين الرسول الأكرم الذي لم يضن ببيان وصاياه في أبسط الأمور والفروع

على أمته، لقد تحدث الرسول عن العادات والتقاليد وعن تقليم الأظافر وعن إعفاء اللحى وعن النظافة وعن الطعام وعن الآداب وعن الأخلاق. فلو كانت الخلافة والحكومة الدينية أصلاً من أصول الدين فلماذا سكت عنه الرسول؟.

ديكتاتورية أفدح

في القرآن الكريم «اليوم أتممت لكم دينكم». فالدين جاء كاملاً بغير نقص. إذن فكل ما ترك مسكوت عنه والمسكوت عنه يدخل في باب الاستحسان. وهكذا فإن فكرة الحكومة الدينية ليست من الأصول، والقول بها يضعنا ونحن في دول العالم الثالث في مأزق الخضوع لديكتاتورية دائمة إلى ديكتاتورية أفدح. لا انتخابات، لا احزاب، لا ديمقراطية، لا معارضة، ثم حاكم يقول تارة بأنه ظل الله في الأرض أو أنه وريث النبوة، حاكم يخلط بين الدين وبين شخصه. ولا تداول للسلطة لان البشير مثلاً في الخرطوم لايعتبر أنه يحكم شخصياً ولكن يعتبر أن الإسلام تفيأ ومن ثم فالمتظاهرون ضده يطلق عليهم الرصاص، ويشنق من يقبض عليه. لأنه لايتظاهر ضد حكم البشير وإنما يتظاهر ضد حكم الإسلام. وإذا حكم هؤلاء فلا تداول للسلطة لانهم يعتقدون أن الإسلام تفيأ، لايعتقدون أن أفراداً أو حزباً أو جماعة قد حكموا ولكنهم يعتبرون أنها حكومة الإسلام، وما من أحد يستطيع أن يزيح حكومة الإسلام.

أيها الأخوة: البعض يقول بأن سيد قطب رجل متطرف ولاعلاقة للإخوان المسلمين به. حسناً، أرسل الأستاذ الهضيبي إلى الإخوان بالواحات مؤكداً أن تفسير سيد قطب للقرآن هو الحق الذي لايسع أي مسلم أن يقول بغيره. والأستاذ صفوت منصور وهو من الإخوان المسلمين المكرمين في كتابه «المنهج الفكري للعمل الإسلامي» يقول:

وسيد قطب صاحب كتاب «معالم في الطريق»، يعد في ميزان الرجال عماداً هائلاً في تجديد شباب حركة الإخوان المسلمين، وهو الامتداد الفكري والحركي لجماعة الإخوان. أما الأستاذ صلاح شادي وكلكم يعرفه

في كتابه «الشهيدان» يقول: «لقد كان حسن البنا البذرة الصالحة للفكر الإسلامي، وكان سيد قطب الثمرة الناضجة». ومن يعرف الفارق بين البذرة والثمرة ويعرف قيمة حسن البنا عند الإخوان يستطيع أن يعرف قيمة سيد قطب عند الإخوان.

وفي مضبوطات سيارة الجيب ضُبطَتْ ورقة تقول: «إن القتل الذي يعتبر جريمة في الأحوال العادية يفقد صفته هذه ويصبح فرضاً واجباً على الإنسان إذا استعمل كوسيلة لتأمين الدعوة». وكل من يناوىء الجماعة ويحاول إخفاق صوتها مهدر دمه وقاتله مُثاب على فعله.

وعلى فكرة، لو طبقوا ذلك لما كان عادل حسين أميناً لحزب العمل لأنه كان أيامها يناوىء الدعوة فلو كانوا قد طالوه لقتلوه ولما تركوا له الحق في التوبة على طريقته.

يبقى بعد ذلك أن هذه الجماعات جميعاً تتفق في العبث بالوحدة الوطنية وإهانة الإخوة الأقباط. ذكرت جريدة مصر في ١٩٤٧/٥/٣ أن جماعة الإخوان قد أقامت حفلاً أمام كنيسة ماري جرجس وكان الخطيب الإخواني يردد: «غداً تؤول شركة المياه إلينا فلا نترك فيها قبطياً واحداً وغداً يسيطر المسلمون على جميع الشركات فلايبقى فيها قبطي واحد». أما الشيخ الغزالي قطب الاعتدال في جماعة الإخوان المسلمين ففي كتابه «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام» يقول: «إن إتفاق زعماء المسلمين والنصارى إبان ثورة ١٩١٩ كان على أن ينسى الجميع أديانهم في سبيل طرد العدو. وهو اتفاق غريب وتنفيذه أغرب». وقال: إن كثرة الموظفين النصارى في الإدارات المصرية إقصاء للإسلام وتغليب لغيره عليه». أما جريدة «الدعوة» ففي يناير ١٩٨١ نشرت فتوى حول حكم بناء الكنائس في مصر: «أن بناء الكنائس محرم في كل بلد استحدثه المسلمون، وأنه محرم في البلاد التي فتحت عنوة أما عن البلاد التي فتحت صلحاً فلايجوز إصلاحها أو بناء غيرها».

هنا يحق لي أن أسأل: إن ذهب فتى طائش ليحرق كنيسة فمن الذي حرقها ومن الذي ارتكب هذه الجريمة؟ الذي أفتى بهذه الفتوى الشنعاء أم الذي حمل الرشاش؟

أخيراً.. نأتي إلى حزب العمل الذي ـ وبخجل شـديد ـ يعلـن أحياناً أنه ضد العنف الإرهابي وإن كان الأخ عادل حسين لم يتفضل بذلك الآن، لكنه يعود ليمجده. فعندما نُفذ حكـم الإعـدام في إرهـابي «حـادث زينهـم» أسمتهم جريـدة الشـعب «الشـهداء الأبطـال الأبـرار» وأنتـم تعرفـون مكـان الشهيد في الاسلام. ولست أدري لماذا يـترك لهـم كـاتب هـذا المقـال مجـد الشهادة وحدهم ولايشاركهم فيها. وحزب العمل يدعـو إلى حكومـة دينيـة غامضة لم يفسرها لنا، ولم يحـدد موقفاً صريحـاً مـن قضيـة الديمقراطيـة والتعددية الحزبية والقـانون الوضعـي الآن وفي المسـتقبل، وتـداول السـلطة وهل يمكن أن ينزل حكام متأسلمون من تفيؤهم أم يعتبر ذلك إنزالاً لرايات الإسلام؟ هل نحن الآن ديار إسلام أم ديار حـرب؟ هـذه أسـئلة لم يجـب عنها حزب العمل. هناك ممالأة الحكومات المتأسلمة على حسـاب الوطـن. أدهشني ما نشرته جريـدة «الشـعب» في زهـو وسـعادة غـامرة أن الحكومـة المصريـة لم تضـف حلايـب إلى الدوائـر الانتخابيـة المصريـة. ولكـن عندمـا فعلتها حكومة السودان وأضافت حلايب إلى الدوائر الانتخابيـة السـودانية صمتت جريدة الشعب ولم تُشر إلى ذلك.

تمجيد البشير

ويطالب حزب العمل بالديمقراطية ويطالب بحريـة النقابـات، يطـالب بحريـة الانتخابـات، يطـالب بحريـة العمـل الحزبـي لكنـه يمجـد حكـم البشير، وهنا يفقد مصداقيته لأن حكم البشير ليس ديمقراطياً، إلا إذا كـان يتصور أن هذا هو حكم الإسلام، فإن كان هذا هو حكم الإسلام فالويل لنـا جميعاً لأن ما يفعله البشير هو مجرد جريمة صغيرة في حق شعبه.

تعقيب

و قد عقب عادل حسين قائلاً:

رغم ما جاء بكلمة د. رفعت السعيد فإنني أؤكد أنني جئت إلى هذا المكان لكي أتحاور معه. وللأسف الشديد الدكتور رفعت وهو الذي بدأ الاقتراح ألا يكون الحوار مناظرة، ولكن حديثه كان بالدقة ما يعني بالمناظرة، فقد تحدث باعتباره مؤرخاً أكثر منه أميناً عاماً لحزب معاصر يشتبك في معارك، ويُدهشني أن يتكلم عن إدانة الإرهاب والعنف بهذه الضراوة ومستشهداً بكلام في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات. والذي يسمع منه هذا الكلام يتصور أنه كان في تلك الفترة حملاً وديعاً.

ينبغي أن نعمق الحوار، لأنني واحد ممن يؤمنون بأننا جميعاً نرجو خيراً لهذه الأمة ومهما كانت اجتهاداتنا فعلينا أن نستمع لبعضنا البعض.

أيها الأخوة والأبناء: إذا حاكمنا الحركة الإسلامية على كتاباتها في الثلاثينيات والأربعينيات فعلنا نفس الشيء بالنسبة للحركة الشيوعية ومن عاصروها في تلك الفترة فإن كتاباتهم كانت لاتقل عن كتابات الإخوان إن لم تكن أشد وعداً بالعنف وسفك الدماء يعني النشيد الذي كنا نحفظه.. يا شعب قم خض بحار الدماء. وكان الفارق بين عنف الإخوان والعنف الذي قالت به الحركة الشيوعية وأنا كنت في الحركة الشيوعية أننا كنا نعيب على عنف الإخوان أنه عنف يقصد أفراداً وهذا عنف لايحل المشكلة وإنما ينبغي أن يكون العنف جميعاً؛ أي أن تذهب فيه ضحايا أكثر ومصاريف منظمة حتى يكون فعالاً. وبغض النظر عن صحة أو خطأ تلك النظرة فنحن الآن نعيش نفس التجربة وغارقون في بعض مآسيها. والدكتور رفعت يستخدم مصطلح المتأسلمون أي أنه يصف كل دعاة الحل الإسلامي بأنهم متأسلمون أي أنهم يدّعون الإسلام. ولكن هل يعني هذا الكلام أنه هو صاحب الحل الإسلامي الصحيح؟. وهذا يهمني من ناحيتين، الأولى أنه وقع فيما يتهم به خصومه بأنهم مفرطون أي مخالفون للشريعة. أي أنه

يتهم خصومه أو يصف خصومه بأنهم أصحاب اجتهادات خاطئة باعتباره هو صاحب التصور السليم. إذن الأمر هو خلاف والحقيقة أن كل الخلافات في التاريخ الإسلامي منذ الشافعي عندما قال: «قولي حق يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب» فهذا هو أمد الاختلاف فكلنا يمكن أن يختلف. ولكل طرف مظاهر اختلافه بحيث رغم اقتناعه بأن رأيه صواب إلا أنه مستعد في أي لحظة أن يتخلى عنه لو كان غيره أصدق.

فلو كان الصديق د. رفعت يقول إنه يختلف مع الأفكار الأخرى لأنها على غير فهم لصحيح الإسلام كما يقول وأنه بالتالي يمثل الفهم الصحيح فإذا كان الأمر كذلك فإنني أقر معه بأن التاريخ الإسلامي شهد كثيراً من المآسي ولاندعي غير ذلك ومطلوب أن نستمد منها العبر. وينبغي أن نطمئن إلى أن هذه العبر أو المساوىء التي سبقت ينبغي ألا تتكرر وأن نقلل من إمكانية أن تتكرر. حتى تصبح بالصورة التي رضيناها جميعاً. وعدم التشبث بمفاهيم خاطئة. ونريد أن نستعيدها هنا بشكل أنقى وبشكل أرقى مناسبة لعالمنا المعاصر.

وإذا كان الحوار في إطار التوافق الإسلامي الذي يحدد الأهداف العامة ويحدد نوع الخلاف وحدود الخلاف ووسائل حل هذا الخلاف. فنتحاور في إطار إسلامي يحدد الظواهر المتعلقة بالمشكلة. وأتمنى أن يشمل الحوار في المستقبل كيف نحكم الحكم الصحيح ولكن ماذا لو قام نفر بعمل سيء وبذلك أصبح الغالب عليهم والمختلف معهم في السياسة في عداد الكفار. لذلك لابد من وضع قواعد تمنع من إحتمال قيام هذا العمل وبذلك يمكن أن نغيره. أقصد أن ما يثير خلافاً معنا في أننا متأسلمون.

نحن في إطار هذا الذي يحدث، نحن أمام طغيان أمريكي يهدد هذه الأمة في تاريخها وحاضرها ومستقبلها، في إطار أننا جميعاً نتحاور لكي نؤكد الوجه الصحيح للإسلام يمكن أن نضع أهدافاً واضحة لننسق جهودنا. وإذا كان المقصود أن نخطط نمواً اقتصادياً، نخطط لهذا البلد معاً صناعياً وعسكرياً ونوجهها لإثبات موقعها على الساحة الدولية وأن نحررها من التبعية. إذا كان الأمن المفروض بالقوة هو ذلك فمن منظور

الأصول الإسلامية يمكن أن نصل إلى نقاط اتفاق موجـودة بحكم التقارب. ولاأعتقد أنه من المفروض أن نسقط هذه الإمكانات الحقيقيـة والملحـة لأننـا سنسلك «سلوك يزيد». لكننا نتكلم الآن حول مواجهـة الصهيونيـة، حـول محاربة المسلمين حول النضال ضد التبعية وتحقيق العدل في النهاية، لنرى أن أي قضية من تلك في المنظور الإسلامي يمكـن أن تُفضي بنـا إلى حلـول نستطيع أن ندافع من خلفها اليوم وليس من ألف سنة ويمكننا القـول إنـه يوجد الآن عناصر لتحقيق ذلك. ولو كان هذا صحيحاً فإن السؤال سيكون، لقد قلت له نحن في حزب العمل الذي أنا الآن أتكلم باسمه، القضايا التي نثيرها ولانعرف مثلاً إذا كان في الصحف من يفسرون ويبدلون القول.

إن الحوار إذا كان في محبة الإسلام فنستطيع فعـلاً أن نصـل إلى كثـير من النتائج. وأقولها بصدق إن كـل الهواجـس الـتي قالهـا د. رفعـت هـي هواجس مشروعة. خوفاً مـن أن يسـتبد البعـض بالإسـلام. كمـا حـدث في التاريخ الماضي من احتكار للدين وهذه أمور نواجهها ويجب أن نصل فيها إلى نوع من الضوابط المشتركة. فمثلاً نتفق على مفهوم الدولـة المدنيـة وهـل مدنية أم دينية؟ هذه اجتهادات لكن المفروض أن هذه الاجتهادات تخـرج بشكل نتائج يبدأ الخلاف بعدها وليـس قبلهـا. وعلـى هـذا الأسـاس فأنـا أرجو في تعقيب د. رفعت التالي ألا يغرق في السرد التـاريخي والعـودة لـه. فمن ناحية بعـض مـا قـال أتفـق معـه فيـه ويمثـل مشـاكل ينبغـي للفكـر الإسلامي المعاصر أن يضعها حتى نجنـب المرحلـة القادمـة العـثرات الـتي عشناها في الماضي. وكذلك فإن بعض التعليقات لاأتفق معه وفي هذا سيتسع المقال فيما بعد. وسواء اختلفنا أو اتفقنا المهـم هـو ألا نضيـع الفرصـة لكـي نركز على فهم التاريخ فنحن أمة تلتزم إلى آراء الإسـلام والدولـة وهـذا هـو التاريخ. ونحن يسعدنا أن نوحد الصفوف لمواجهة المشـاكل الـتي تواجهنـا والتحديات التي تعترضنا. إذا كان الإسلاميون أصحـاب برنـامج واضـح في هذا المجال وأنا منهم وقرأت واتفقت في كثير من الأحيان مـع مـن يُقنـون له.

أرجو أن تكون هذه روح المناقشة أرجـو أن نعـود بـه إلى طبيعتـه الـتي أردناها من البداية أي بحيث يكون حـواراً مخلصـاً وليـس منـاظرة بمعنـى

أنني أقول كلاماً وأمضي وأنت تقول كلاماً ما وتمضي. لا.. فنحن أتينا مختلفين بنحو ١٠٠٪ أو ٩٠٪ وبعد الحوار قلّت الخلافات كثيراً. وأرجو أن تكون هذه هي الروح التي تسود تعقيب الأخ الزميل د. رفعت.

تعقيب د. رفعت السعيد

فيما يتعلق بدعوة الحوار فأعتقد أنني لن أعتبر مثل هذا الحوار نهاية المطاف بل أتجاسر فأدعو الأخ الأستاذ عادل إلى حوار وحوارات في المستقبل أتمنى أن تتواصل حتى نجيب على الأقل عن هذه الكومة من الأسئلة.

يأبى عادل حسين إلا أن يحاول أن يستدرجني، ببساطة إلى ساحة التأسلم ويبدو أنه يتصور أنه يتناسب معنا.

فيقول إن المتأسلمين كانوا إرهابيين ثم الشيوعيين أيضاً دعاة عنف. نعم صحيح لكن الفارق أخلاقي وسياسي ومبدئي لأن الشيوعيين يدينون العنف ويدينون الإرهاب ويدينون الستالينية، يدينون كل ما ارتكب من جرائم. لكن أرني إخوانياً واحداً أدان جريمة قتل من تلك التي ارتكبها الإخوان وحتى الأمس.

وأسجل على الإخوان الأعزاء أنهم لايحتملون الرأي المخالف. فلو وقف مائة منهم الآن وأدانوا الإرهاب القديم فلن أسمع لهم لأن الشيخ مصطفى مشهور منذ اسبوع قال: «كنا نفعل ذلك حرباً للصهيونية والاستعمار» وبرر كل ما فعل ولم يتجاسر أحد ولايتجاسر أحد أن يفعلها. أن يقف ويطالب من أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين أن يدين ما كان. لكنه لم يحدث وأؤكد أنه لن يحدث لأنه جزء من الأساسيات الفكرية. وأحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» وهو إخواني صحيح الإخوانية وكان نائب رئيس الجهاز السري قال «حركة دون جهاد مسلح يحميها ويحمي دعوتها مجرد تهريج». ومن يأتي هنا ليقول لا يوجد إرهاب في وسط جماعة الإخوان المسلمين فعليه أن يقول هذا الكلام لهم وليس لي، يذهب إلى محمود الصباغ الذي أصدرمؤخراً كتاباً اسمه «حقيقة الجهاز الخاص لجماعة الإخوان المسلمين» يقول فيه: «إن القتل غيلة من شرائع الإسلام»

وعلى من يريد أن يتكلم أن يذهب إلى أولئك القتلة الذين يُروجــون للقتـل. إذن الأخ عـادل قـال إذا كنـت تسـمينا متأسـلمين فهـل أنـت مـع الحـل الإسلامي الصحيح وخيل إليه بذلك أنه يحاصرني، لكن نحن نؤمن بـالله وملائكته وكتبه ورسـله لا نفرق بـين أحـدٍ مـن رسـله. نحـن نلـتزم بفهـم إسلامي صحيح في حياتنا، في علاقتنا بربنا.

أما الحكومة الدينيـة فـلا، لأنهـا لم تـرد في الإسـلام، هـذا اخـتراع تريدون أن تحكموا قبضتكم على أعناقنا به.

«الخلافة من بعدي ثلاثون عاماً» وانتهت الثلاثون عاماً وانتهى الأمر والآن نريدها ديمقراطية وأنتم تريدونهـا مجتمـع التطـرف. لكـن يـا أخ عادل أنـت تدعونـي إلى أن أتفـاهم وأن أتفهـم. وأنـا أريـد أن أتفـاهم وأن أتفهم. وأرجو مـن الأخ عـادل أن يقـول كلمـة واحـدة إدانـة للإرهـابيين القتلة، حتى أستطيع أن أتفاهم معك.

اغسل يدك من دمائهم حتى أسـتطيع أن أتفـاهم معـك، كلمـة واحـدة انتقد بها إرهاب البشير ومحاربته للتعددية الحزبية وللديمقراطية وللجرائم التي يرتكبها البشير ولو بكلمة واحدة حتى نحس أنكم لـن تفعلوهـا مثلـه. كلمة واحدة فقط، هذا هو المطلوب فهل تحدد موقفك من الجرائـم والحكـم الديكتـاتوري الـذي يرتكـب باسـم الإسـلام سـواء في طهـران أو الخرطـوم؟ وسـاعتها يمكنـني أن أصدقـك. أمـا هـذه الضوضـاء الـتي يحدثهـا بعــض الإخوانيين فتعبير عن مدى حلمكم وديمقراطيتكم وشغفكم بالحوار.

وشكراً

أصوات متداخلة من القاعة غير مفهومة بعضها يهاجم وبعضها يُطـالب بالرد وبعضها يصرخ بلامعنى وخرج د. رفعت السعيد ومعـه مجموعـة مـن شباب التجمع بينما بقى عادل حسين لفترة وحوله شباب التجمـع الذيـن حرصوا على أن تنتهي الندوة بالهدوء الذي بدأت به، متعهدين بأن تكـون هذه المناظرة بداية لحوارات ولقاءات أخرى بين كل القوى التي تجـد مـن مصلحتها ومن مصلحة الوطـن أن تعمـل معـاً ضـد كـل أعـداء الوطـن مـن الإرهابيين والمفسدين.

مصباح قطب

هكذا تبارز الجمهور مع أميني التجمع والعمل

قبل أسبوعين عقد اتحاد الشباب التقدمي بالتجمع مناظرة بين د. رفعت السعيد أمين عام التجمع، وعادل حسين أمين عام حزب العمل، حول التطرف والاعتدال في الحركة الإسلامية حضرها حشد هائل من الجمهور.

لن يؤمن المرء حتى يكون السؤال، ومحاولة الإجابة، أحب إليه مما سواهما. قول لم يقله أحد، وإن كان يشعر بمعناه بعض الناس، وتتحدد وضعية أي بلد، تقدماً أو تأخراً، بمقدار ما يزيد هؤلاء الناس أو ينقصون وهناك من الأسباب الموضوعية، ما يجعل ابن آدم يحب الأسئلة أحياناً، أكثر من حب الحياة ذاتها. ذلك لأن ما هو حي في حياتنا (عادل وخلاق ومتطور) مدين لتلك العلامة العجيبة، التي تشبه نصف مفتاح صول، ألا وهي علامة الاستفهام، حين تنبثق في العقل والقلب والضمير.. عند فنان أو عالم أو فيلسوف أو صوفي! كان الأمر كذلك مع الحضارة العربية الإسلامية، إبان صعودها، كما كان في عصر التنوير الأوروبي، الذي تفجرت فيه أعمق أسئلة الوجود الإنساني.. والعنفوان. الأمر إذن ببساطة: قل لي ما هو سؤالك أقل لك.. ما هو مصيرك؟.

وبسبب ما تقدم، حرصت على «التكويش» على الأسئلة الموجهة إلى د. رفعت السعيد والأستاذ عادل حسين، بعد فض مناظرتيهما في الأسبوع الماضي، دون الإجابة عن الأسئلة، تحاشياً لتصعيد أجواء التوتر، والتي كانت رياحها قد أخذت في الهبوب. تمكنت من كل الأسئلة إلا قليلاً كان في يد الأستاذ عادل حسين، وكان عليَّ أن أترك علاقتي الخاصة في

حياتي بالسؤال، وأن أمنح الأسئلة الحق في التنفس.. وفي الحياة التي حُرمتها وقت المناظرة، وأيضاً أن أمنح من يشاء حق معايشتها والحكم عليها وعلى نفسه وزمنه.

الحسم

٧١ سؤالاً، تعيد ـ كرقم ـ إلى الأذهان عام «الحسم» الذي لم يحسم كما هو معروف. أسئلة منها بالبسملة وبدون بالوضوح وبدون، ساذجة وماكرة. ذكية ومتذاكية، لئيمة، وطيبة، مغتاظة وأخرى تكظم غيظها بالدعاء الذي يشبه دعاء الأمهات في الأرياف: «ربنا يولي من يصلح ويهدي الجميع»، أسئلة بالسماحة (أغلبية) وبدون، بالقلق والبركة، بالبراءة وبالاصطناع. أسئلة موقعة وأخرى بدون. في خانة المهنة ضابط ومهندس وصحفي ودكتور جامعي وطالب وزراعي و«غير إخواني»! ومستقل. أسئلة حضرت وكأنما لتطرح التذكير بما لم يحضر فمثلاً لم يكن هناك أي سؤال حول الوضع في السودان، رغم كثرة من حضر من السودانيين وخطورة ما يحدث في السودان وأهمية ما أثير حوله في الحوار المناظرة. وغابت أيضاً الأسئلة التي ربما بدا «الشر» لأصحابها أجدى بمعنى أنهم رأوا أن الكز على الأسنان وطق الشرار من العيني والنفخ الغاضب وعض الشفايف والارتعاش كل ذلك لا شيء يمكن أن ينفثه ألم تكن هذه حالة الشاب الذي جلس في الصف الأول مستنفراً للغاية ولسان حاله يقول: يا رب خلصنا من الراجل ده (د. رفعت)!

لقد غابت أيضاً أسئلة الدراويش رغم أن أحدهم جلس بجوار مدخل القاعة قبل بدء المناظرة، وهو يرتل الاذكار والأدعية، طالباً أن ينصر ا لله الأستاذ عادل على خصومه (هل اعتبرهم خصوم الإسلام؟) وحضرت بعض أسئلة نرجسية، أو باردة، أو مدعاة، وبعضها مسكون بالهم والقلق. ولأن الليلة التالية كانت ليلة القدر، فلم يكن أمام الإنسان سوى أن يدعو يا رب اجعلها عمرانة بالقلق والأسئلة، حتى لا يُعمر خرابها الجواب الوحيد: جواب الركود والاستهلاك والعصبية والتخلف والخوف من العلم والتحدي.

الصعب والحداد

أصعب «الأسئلة»، ذلك الذي وجه إلى الاثنين، من مجهول، يدعو، بعد مساء الخير، إلى الوقوف دقيقة حداداً على روح شهيد الإرهاب والتطرف للإسلام السياسي. د. فرج فودة، أول من طلب المناظرة مع هذا التيار. ولنا أن نتخيل ماذا كان سيحدث في القاعة لو قرىء السؤال. وإذ نتذكر مناظرة معرض الكتاب الشهيرة، التي راح ضحيتها د. فودة فإن سؤالاً آخر، يعيدنا إليها من باب ثان إذ يقول للدكتور رفعت إن كل ما قلته بلا مصادر أو أسانيد (مع أن الدكتور كان يذكر اسم الكتاب ورقم الصفحة في أغلب الحالات) ويسأله السائل أنس أحمد منصور: هل تستمد كلامك من ألف ليلة وليلة؟ وهي ذات العبارة المبتذلة التي قالها د. محمد عمارة لفرج فودة في المناظرة إياها. وكان هناك أكثر من سؤال للدكتور رفعت حول موقف حلف الناتو وإسرائيل من الأصولية، غير أن المرء لم يكن ليصدق أن يأتي السؤال من د. عصمت زين الدين الأستاذ بهندسة الإسكندرية على النحو «المبسط» التالي: الاختيار الآن بين المشروع الإسلامي والمشروع الإسرائيلي فما هو اختيارك يا دكتور؟ وقبله كان السؤال من د. عصمت أيضاً حول التقاط د. رفعت لشتات القصص والأفكار للهجوم على التيار الإسلامي وبنفس الصيغة بالضبط جاء سؤال الصحفي أحمد السيوفي (الشعب) حيث يسأل د. رفعت هل التطبيع مع التيار الإسلامي في مواجهة الصهاينة أم أن الأرضية تصلح للتطبيع مع الصهاينة ولا تصلح للتطبيع مع الإسلاميين؟. هل هذا كلام يا صديق؟

ويطلب الكثيرون (دقيقتين) للتعليق، بحمية، حتى في وسط حديث المتحدثين، ناسين أنه لو سمح لكل من طلب التعليق بذلك، لاقتضى الأمر المبيت ثلاث ليال، وأن من المفترض أن كل متحدث فيه الكفاية ليعبر عن التيار الذي يمثله. وعلى كل فالمرء بحاجة فعلاً لأن يسمع إلى د. عبد الحميد الغزالي (الأستاذ بكلية الاقتصاد بالقاهرة). وذلك الذي وقع باسم طارق وكتب ما يلي: ليس مهماً عنوان المشروع الحضاري فقد يكون العنوان علمانياً والجوهر إسلامياً، أريد التعليق.. أيضاً طلب التعليق على

الندوة من منظور «التطبيق» المعاصر د. عبد المحسن حمودة وهو من خُبر التيار الإسلامي في نقابة المهندسين. وقد يكون د. عبد المحسن هو أيضاً صاحب السؤال الموجه إلى عادل حسين عن رأيه في موقف النحاس من أحمد حسين حين صدّر الأخير بياناً انتخابياً باسم الله؟ وقد يكون السائل.

التجمع - الأهالي - التعذيب

دارت أسئلة كثيرة حول ما يعتبره أصحابها تراجعاً من التجمع و«الأهالي» في موقفهما من التعذيب ومن مسألة حق كل القوى في أن تعبر عن نفسها ومن «الإسلاميين» اشتط البعض فقال إن التجمع (ودكتور رفعت) يحاول أن يبرر اتهاماً يملأ صدره ضد النهضة الإسلامية، متعاوناً بذلك مع أعداء الأمة، ودافعاً بنا إلى الهاوية لأنه أعمى البصر، ولديه حقد شخصي قديم.

وطرح آخر سؤاله بهدوء: في هذه القاعة عام ١٨ حضر د. محمود القاضي والمرحوم عبد العزيز الشوربجي وإبراهيم شكري وخالد محيي الدين. وأيد د. رفعت وقتها حق كل القوى في تشكيل أحزابها فلماذا غـيّر الدكتور موقفه.

(وبالمناسبة لم يحدث أن تقدم الإخوان بطلب لإنشاء حزب أبداً وهذا شيء له معناه).

وتساءل ثالث: كانت «الأهالي» أقوى صحف المعارضة قبل أن يدخل التجمع البرلمان، ثم هدأت. والآن فإن «الشعب» هي الأكثر قوة لأن العمل خارج البرلمان متى تستمر الصحف على موقف واحد؟ التوقيع مهندس رجائي محمد فايد وأضاف: وضد موقف التجمع من قبوله التنكيل بالإسلاميين؟ وسؤال آخر: أيد التجمع «ثورة مصر» فلماذا يرفض عمليات حماس والجهاد ضد الإسرائيليين. ولا أريد أن أطفىء سؤال القارىء ولكن أنبه فقط إلى أن التأييد ليس هو التغطية الواسعة في «الأهالي» فالموقف الرسمي للحزب له تعبيراته المحددة.

ويسأل خالد أحمد فهيم عن العلاقة بين اليهود واليسار، من ماركس إلى كورييل، وبين موقف التجمع من الصلح مع إسرائيل. وطبعاً من حق أي إنسان أن يسأل ما يشاء ولست في موقع المسؤولية الحزبية الذي يجعلني أرد ولكن لدي ثمة رغبة في القول: ده كلام يا راجل خليت إيه للدكتور مصطفى محمود؟

ويكسب د. رفعت السعيد صديقاً صعباً.. إنه ذلك الذي كتب يقول: كنت أبغضك جداً قبل ذلك لكنني مستعد للتحاور معك بعد اليوم إذا كنت تؤمن حقاً بما تقول؟ ويلمز آخرون حيث يقول سائل: أقرأ لك (د. رفعت) وأعجب بما تكتب، لكن أدهشني موقفك من الحملة على الكنيسة. هناك تفسير «مش حلو» ما رأيك؟ ويدعوه آخر إلى المناظرة ويتحداه أن يذكر أمام الحاضرين نواقض الوضوء! ويطرح الحاضرون أكثر من سؤال بصيغ طيبة مثلاً: إذا كنت ترى يا دكتور أن الدين كلي الصحة فكيف نستفيد منه ونوظفه وما هو النموذج الأمثل؟ لكن الشطط أيضاً قائم، فهذا يسأل: هل تريدنا أن نحل الأزهر ونسرح علماءه وتبقى أنت لتنطلق مما يخالف الأديان بعامة والإسلام بخاصة؟. وأكثر من سؤال معاتب للدكتور رفعت لأنه أعلن في البداية أننا لسنا بصدد مناظرة أو مشاجرة ثم حاد عن ذلك. كان في القاعة جمهور طيب كثير جمهور لم يألف فكرة الصراع، ويحب النهايات الجميلة والتعميم وأظن أن أصحاب هذه الأسئلة كانوا يودون أن تنتهي الندوة وقد وقف رفعت السعيد وعادل حسين متشابكي الأيدي وهما يقولان أنهما سيعملان معاً من أجل مصر والأمة. أكثر من «سامحك الله» أيضاً في أكثر من سؤال للدكتور رفعت لأنها تعتبر أن كل ما قاله حجة على أصحابه وليس حجة على الإسلام. ووفق هذا المنطلق فإن ما سيقوله السائلون دفاعاً عن الإسلام هو حجة لهم وليست للإسلام لإن الإسلام غني بذاته عن الحجج. كلمات أخرى شاطحة مثل: ماسر عدائكم لكل ما هو إسلامي.. سر عدائكم للاخوان.. هل تكيلون بكيلين «زي أمريكا»؟ ويوجه العقيد المتقاعد محمد بدر عضو اللجنة التنفيذية لحزب العمل رجاء بأن يستمر اليسار في معاداته لأمريكا، مثلما كان يعاديها أيام كانت تعادي المعسكر الاشتراكي. ومن ثم يصادق التيار الإسلامي لأن عدو عدوي هو

صديقـي ويعتـبر العقيـد أن الحـوار هـو الحـل الوحيـد لأزمـة مصـر، وأن الطائفية لاجذور لها في مصر مقللاً من شأن اهتمام د. رفعت بها.

أسئلة أخرى تعبير أن ما أخذه د. رفعت على التيـار الإسـلامي بشـأن الديمقراطية يؤخذ على التيار الماركسي وبالمناسبة أعلن د. رفعت أن اليسار كان يدعو للعنـف في الأربعينـات نعـم لكنـه يديـن أي ممارسـات إرهابيـة الان، حدثت أو ستحدث ويعيد قراءة واقعـة وأفكـاره وتاريخـه ودعـا لأن يفعل الإخوان ذلك. وللعلم كان اليسار في مصر «بتاع كلام» لكنه لم يمارس العنف لاضد الإخـوان ولا الحكومـة ويطـالب سـائل مـن الدكتـور أن يقـرأ ريتشارد ميتشيل حتى يكف عن تحيزه ضد الإسلاميين، كمـا يدعـوه ثـان إلى ألا ينتقي، ويسأله ثالث هل تصلي وما هي شروط لا إله إلا الله ويقول له: «أقرأ الإسلام أيديولوجية المسـتقبل» ففيـه مـا يؤكـد أن الخلافـة هـي شكل الحكومة (أليس في غيره ما يؤكد العكس؟) ثمة سؤال مسترخ وسـاخر ومختزل: د. رفعت بعد كل ما قلت ما هي ضرورة الإسـلام لنـا وشـكراً؟ وآخر مستنفر: هل كنت تريد الحوار (علامتان للتعجب) هـل كنـت تريـد إنقاذ الأمة (علامتان للتعجب). ويسأل محمـد محمـود الفقـي عضـو نقابـة الزراعيين على مستوى الجمهورية: هل الإرهاب ظاهرة دينية أم اجتماعية سياسية تكرسها البيئة والمناخ، وواضح أن السائل مطلع على الحوار الـذي يدور كل يوم في التجمع حول نصيب ما هو اجتماعي وما هو «فكري ديني سياسي» في تسـبيب الارهـاب. وإلى د. رفعـت أيضـاً سـؤال تكـرر، وهـذه أوضـح صياغاتـه، كـل التقـارير الداخليـة والخارجيـة تؤكـد أن المسـلمين قادمون، فلماذا لانتفاهم على أسلوب الحكم الإسلامي بدلاً من نفيـه؟. إن الأسئلة ببساطة تكاد تقول: ما دام دي الموجه اللي جايه، ما تدخلهـا يـا راجل يا طيب وريح نفسك؟. ولاتعليق. وعلى فكرة من طرح السؤال وصف نفسه بأنه غير إخوانـي وأنـه مثقـف وأن مـا يقدمـه «مجـرد رؤيـة». ومـن الأسئلة المصيدة: دكتور رفعـت ألا تعتقـد أن أيـات الـرق في القـرآن فـات أوانها؟ وآخر تهكم (بالمناسبة كان مما يغيظ كثـيرين أن د. رفعـت يتهكـم أحياناً على خصومه، حتى قلت لأحدهم إن التهكم فـن وليتـك تجيـده أو تقبله، وإلا ماذا لو رسم أحدنا صورة كاريكاتورية للخليفـة في ظـل الحكـم

«الاسلامي»؟) يقول المتهكم : تتحدث يا دكتور ككهل بلغ من العمر أرذله ويشاهد مباراة وينتقد ......ماذا فعلتم أنتم ؟.

مكونات الوطنية

لم يكن ثمة أسئلة «فيما حصلنا عليه» تُشعر أنها «تجمعية» إلا القليل، ومنها ذلك السؤال المحدد: الأستاذ عادل حسين هل من التعددية في الاجتهادات ترويع الآمنين وقتل الأطفال وتصفية المختلفين وتدمير المنشآت وتكفير المعارضين والمجتمع، وهل الجماهير توافق على ذلك؟ والإشارة هنا إلى قول عادل حسين بأن الأمة كلها تؤيد التيار الإسلامي. غير أن سؤالاً آخر واعياً ومثيراً من حقه أن يلقى إجابة، سأل الزميل حمدي حسين: دافع المثقفون في معرض الكتاب عنك يا أستاذ عادل ونسوا للأسف العمال المعتقلين بتهم ملفقة، والآن ما رأيك في قيام حزب سياسي للطبقة العاملة يرى أن الاشتراكية هي الطريق للعدالة والحرية والديمقراطية لكل الشعب؟ وسؤال إلى د. رفعت أظن أنه ضل الطريق حيث يقول: هل هناك فارق بين المعتدل والمتطرف أم أن الأمر توزيع أدوار بين رفاق الطريق؟ ومثله ما الفرق بين الفكر المتستر بالدين والفاشية؟

لكن أجمل الأسئلة كان من صنع الشعراء. فسمير عبد الباقي يقول لعادل حسين في مودة: عزيزي ليس الخلاف مع الإسلام، ولكن وجداننا الوطني المصري أكثر عمقاً تاريخياً وأرحب، والإسلام في مصر كالمسيحية، كان مصرياً.. إن الخلاف هو في اعتبار الإسلام وحده الجذور والأصول للوطنية المصرية.

الطريف أن السؤال مكتوب على ورقة من أجندة تحمل في ركن مواقيت الصلاة. والتاريخ الأحد ١٠ ديسمبر ٣٠ هاتور ١٧ رجب.

ويغذى سؤال، مموه التوجه (إلى حزب العمل)، الأستاذ عادل بإجابات عن أشياء طرحها د. رفعت فيقول له: إنك ترد على الشيخ الغزالي في كذا مع أن الموضوع كذا وترد على فتوى عدم بناء الكنائس، ألم

تقرأ اتفاقية سيدنا عمر مع النصارى عندما دخل البلاد وضمها للإسلام إن كنت ممن يفقهون؟!

ومن عضو بحزب العمل للأستاذ عادل: حينما حزت سلطة في حزب العمل وقفت بجانب الأستاذ إبراهيم شكري في انتخابات الحزب عام ١٩٨٩، حينما أعلن أنه سيستقيل إذا نجح العلمانيون والدينيون فهل هذا هو الإيمان بالتعددية؟ (توقيع أحمد محمود قناوى) وآخر من ذات الحزب يسأل ما هي الآليات التي وضعها حزب العمل نفسه لضمان التعددية وضمان تحييد من لا يؤمنون بها في الحزب؟. وثالث مجهل يدعو الأستاذ عادل إلى مناظرة علنية. بالطبع كان هناك أسئلة أخرى من حزب العمل فالدكتور عبد السلام نجم يقول: هل الأهالي صحيفة معارضة أم موافقة؟ وهناك: لماذا يُتعب حزب العمل نفسه في السعي إلى جبهة وطنية مع أن اليسار كله تقريباً يرفض العمل مع التيار الإسلامي (صاحب هذا السؤال اعتبر أن المطروح على اليسار هو التحالف مع السلطة أو مع التيار الإسلامي) وسؤال في المسألة القبطية: هل مقولة إن الإسلام هو التاريخ المشترك لعنصري الأمة ولم يكمل صاحب السؤال جملته وألحق به: وهل تم تدوين تاريخ الأقباط بأمانة وما موقعه وإلى أي حد تضع في الاعتبار اختلاف الثقافة ورأي الأقباط؟.

وعدة أسئلة تفصيلية عن كيفية تحقق النهضة الإسلامية في ظل شروط العصر. ونجدة أخرى للأستاذ عادل ليرد بها على د. رفعت بشأن ما قاله عمر عبد الرحمن عن الإمامة والقريشيين. وسؤال هو رجاء حار بمنع التدخين وشكراً وأخيراً سؤالان مفتوحان. الأول اعتبر أن المتحدثين لم يأتيا بجديد ويطلب رأي د. رفعت كمؤرخ. والثاني من طالب بكلية الاقتصاد أظن أني أعرفه جيداً من لغته فقد شاهدته في عدة ندوات، يقول السائل (أكرم..) إن د. رفعت بدا متفوقاً والأستاذ عادل بدا وكأنه لا يلعب على ملعبه وأن لعب فبغير حرفنة. غير أن النقطة الأساسية التي غابت عن الاثنين هي أن النظام العالمي الجديد يتجه بكل وضوح إلى الأمركة ولابد من تيار إسلامي نتفق أو نختلف معه، لكن هذا أهون علينا وأشرف لنا من الاستسلام للحضارة الغربية بكل معطياتها. وقد ذكرتني كل معطياتها هذه

برجل من جمعية الإعجاز العلمي المتسعودة قام ليقول للدكتـور سمـير حنـا صادق إثر محاضرة له عن العلم: أختلف معك في كل حرف قلته. فـرد د. سمير: طيب أنا قلت في البداية صباح الخير فهل تختلـف معهـا؟ سـكت الرجل وإن كان لاح لي أن في ذهنه طيف رفـض يقـول: إيـوه.. لازم تقـول السلام عليكم!! وإلا سأرد بـ بنجور بتاعة عمر عبد الكافي.

آراء وتعليقات

«هذه الآراء تعبر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر كتاب الأهالي»

تعليقات :

محمد سعيد العشماوي
خليل عبد الكريم
نصر حامد أبو زيد
مجدي قرقر
صلاح عدلي

المستشار محمد سعيد العشماوي

تعقيب على المناظرة

منذ ظهرت جماعة الإخوان المسلمين على ساحة العمل في مصر (سنة ١٩٢٨)، وحتى الآن لم تقدم فقهاً سديداً ولافكراً سليماً، وإنما أحدثت، وما زالت تحدث، اضطرابات شديدة في العمل السياسي وفي العمل الديني سواء بسواء، بدأ بمصر ثم انداح إلى العالم الإسلامي ثم انساح في شتى أنحاء العالم، نتيجة لعوامل محلية وإقليمية وأجنبية ودولية، حتى ألحق بالإسلام أذى شديداً، كما وضع المسلمين في وضع حرج للغاية، وأصبح المخرج عسيراً والمنقذ صعباً.

(أ) فقد خلطوا الدين بالسياسة، ومن ثم حولوه إلى أيديولوجيا سياسية، فالقيم والأخلاقيات الدينية، إذا ما أدخلت على العمل السياسي رفعت من شأنه؟ وحدت من تدنيه. أما استغلال الدين لأغراض سياسية ولأهداف حزبية، فهو يحوله إلى أيديولوجيا سياسية شمولية كهنوتية، أعتى من النظام النازي وأقسى من الجهاز الفاشي. بذلك نشأ ما يسمى بالإسلام السياسي، على حساب الإسلام ديناً، وصار المفهوم الإسلامي سياسة في الأصل، وتحزبا في الأساس، وتقلبا في العمل، وتدنيا في الوسائل، وعنفا في الخلق وإرهاباً في التصرف.

وأثر استخدام الدين في السياسة على العمل السياسي، في مصر، ثم في غيرها، فنزعت الأحزاب السياسية منازع أيديولوجية، أو خلطت بأدائها اتجاهات شمولية أو سقطت في وهاد الجدال الفارغ العقيم والصراع الحر الأليم مع شعارات ذات صبغة دينية بغير حق، ولافتات تتخفى وراء الشريعة دون أساس، وهتافات تزعم نصرة الدين وهي تشوهه، وتدخل به في ساحات من الأغراض الشخصية، ومتاهات من التدنيات الحزبية.

وأثر إعلاء السياسة على أي عمل ديني على تلك الجمعيات والهيئات التي اختارت العمل الاجتماعي والمنهج الأخلاقي والأسلوب التربوي سبيلاً لها وغاية، فهذه الجمعيات والهيئات التي أنشأت المدارس وبنت المساجد وأقامت الأندية وبذرت الأخلاقيات وركزت على التربية فرفعت من شأن الإسلام وسمت بشئون المسلمين، أصبحت تُعد قاصرة، تُتهم بالعجز لأنها لا ترتكز على السياسة، وتوصف بكل نقيصة لأنها لا تتخذ الحزبية سبيلاً لها وغاية، بهذا تخلخل العمل الاجتماعي في الإسلام، وتقلقل المنهج الأخلاقي بين الفرق الأيديولوجية، وغاب الأسلوب التربوي الصحيح من ساحة العمل الإسلامي الذي انقلب إلى السياسة وانحدر إلى التخريب ووقف نشاطه على ذلك، وسَخّر أي نشاط آخر لخدمة هذه الأهداف، فصار الإسلام سياسة في سياسة، وتحزباً بعد تحزب، وغرب العمل الاجتماعي الخالص والمنهج الأخلاقي القويم والأسلوب التربوي الراقي.

(ب) وقد اتخذت هذه الجماعة في مؤتمرها الخامس (سنة ١٩٣٧) قراراً بأنها جماعة المسلمين وليست جماعة من المسلمين. وبهذا تكون قد خالفت الإسلام وجانبت الشريعة حيث يعد كل من نطق بالشهادة مسلماً، وقصرت الإسلام على أعضائها وتابعيها. وأخرجت منه كل مسلم آخر، فحكمت على ملايين المسلمين بالكفر والإلحاد والخروج من الملة، مع أنه من أكبر الكبائر أن يُرمى مسلم واحد ـ نطق بالشهادتين ـ بشيء من ذلك.

ونتيجة للمطابقة بينها وبين الإسلام، وقصر وصف المسلمين على أعضائها وتابعيها، أنها نفت أي صيغة أخرى للإسلام وأي فهم مغاير للشريعة، كما اعتبرت المسلمين من غير جماعتها علمانيين وهو وصف مستتر للكفر والإلحاد. فالجماعة وحدها هي الإسلام، ومن لم يكن عضواً فيها فهو كافر ملحد.

ومع الإلحاح على هذه الصيغة، ونشرها في مصر، ثم في المنطقة، ثم في العالم الإسلامي، ثم في العالم أجمع، نتيجة تشجيع بعض الدول وبعض أجهزة المخابرات، فقد أصبح العالم لا يعرف من الإسلام إلا صيغته السياسية، ولا يرى من الإسلام إلا مدلوله الايديولوجي، وبهذا ربط الناس

في شتى أنحـاء المعمـورة بـين هـذه الصيغـة السياسـية الأيديولوجيـة وبـين الصيغ المشابهة لها، والمعاصرة لنشـأتها، كالفاشـية والنازيـة والماركسية، واعتبروها خطراً على الحضارة والإنسانية والعالم، خاصة مع تزايد أعمـال العنف والإرهاب، وانتشاره في مناح متعددة من العالم، والتهديد بـه دومـاً والتلويح به في كل حين.

ولم ينتبه العالم، بصورة واضحــة حتـى الآن، إلى وجـود صيغـة أرقـى للإسلام وفهم أدق للشريعة، ذلك الذي يقدمه الإسلام المستنير ويرفع لواءه دعاة الاستنارة وحماة الحرية (الليبرالية)، لأن الأثر الـذي يحدثـه تفجـير مبنى، أقوى بكثير من الأثر الذي تحدثه عشـرات الكتـب، ولأن النتيجـة التي تنشأ من خطف الأبرياء وقتل الآمنين، أسرع انتشاراً وأشـد وقعـاً مـن الأفكار التي تؤثر ببطء وتفعل بهدوء.

ولأن أهداف الجماعة السياسية طموحة (بـل وخرافيـة مسـتحيلة)، إذ هم يؤملون في قلب نظام الحكم في مصر، ثـم قلـب نظـم الحكـم في المنطقـة العربيـة بأكملهـا، ثـم قلـب نظـم الحكـم في العـالم الإسـلامي بأسـره، ثـم السيطرة على مقدرات العالم وحكم كافة البلاد من خلال مـا يزعمـون أنـه الإسـلام، وهـو في الحقيقـة والواقـع، أيديولوجيـا سياسـية، ليسـت هــي الإسلام وليست هــي الشـريعة، لأن أهدافهـم هـي هـذه الأهـداف البعيـدة المستحيلة، فإنهم يتخذون في سبيلها ما يسمى بالتقيـة، وهـي في الحقيقـة ضرب من النفاق، فلا يعلنون أهدافهم ولا يذكـرون أغراضهـم ولا يسـفرون عن سـبلهم، بـل إنهـم يتخـذون مسـتويين للحديـث، فيظهـرون غـير مـا يبطنون، ويعلنون غير ما يقصدون، ويدعون غير ما يعملون، فيقول قـائلهم في مصر غير ما يقوله في دول الخليج، ويحدثون الأجانب بغير ما يحدثـون به أعضاءهم وأتبـاعهم، ويظهـرون بوعيـين ويتكلمـون بلسـانين ويتحدثـون بلهجتين وبذلك جعلوا مــن النفـاق أسلوباً للعمـل الإسـلامي ــ حاشـا مـا يـأفكون ــ بـل للايديولوجيـا الإسـلامية ونتيجــة لقصرهــم الإســلام، في مجموعتهم، ووصم كافة المسـلمين في شـتى أنحـاء العـالم بـالكفر والإلحـاد والخروج من الملة، فقد قصروا النظام الأخلاقي - إن كان ما لديهــم يسـمى أخلاقاً - على جماعتهم فقط، وبذا أصبحـوا ــ وأصبـح جميـع أفرادهـم ــ

مذبذبين ـ مبتوري الضمير مشوهي الخلق ـ يستحلون مع من لم يكن منهم أي أسلوب في العمل، يعتقدون أنه أفعل وأنفع، فيكذبون ويموهون ويكيدون وينقلبون ويعنفون، ويستحلون دماء الجميع وأموالهم وأعراضهم، وهي السلوكيات التي وضحت بجلاء لدى الجماعات التي انسلخت منهم وانفصلت عنهم، وصارت تعتقد فيما يسمى باستحلال دماء وأعراض وأموال أي مسلم من غير جماعتهم، وبالطبع من لم يكن مسلماً كذلك، وقد شرح هذا الأمر بوضوح أحد التائبين من هذه الجماعات والعادلين عن منهجها اللاإنساني واللاأخلاقي والدعارة باسم الدين وباستغلال الشريعة.

(ج) وهم يطلقون شعارات دينية، تمويها وتضليلاً، وغشا وخداعاً، من ذلك شعار «تطبيق الشريعة» والذي يهدفون من ورائه إلى جذب مشاعر الناس، وإرباك الحكومات، وتقويض النظم القانونية السائدة، وتهديد إحترام الناس للقانون. ورغم مرور أكثر من نصف قرن على بداية حركتهم فإنهم لم يقدموا دراسات علمية مستفيضة للمقصود من الشريعة، لفظاً وحكماً. ذلك بأن الشريعة لا تعني في القرآن الكريم النظام القانوني، لكنها تفيد معنى الطريق أو السبيل أو المنهج أو ما شابه، وطريق الإسلام إلى ا لله يتحدد بثلاث مسارات: العبادات، والأخلاقيات، والمبادىء القانونية. ورغم ذلك فقد قصروا الشريعة على المبادىء القانونية فقط، وهذه المبادىء تقع في ٨٠ آية من آيات القرآن الكريم (ومع التجاوز ففي ٢٠٠ آية) من مجموع آيات القرآن البالغ عددها ٦٠٠ آية (أي بنسبة ١: ٧,٥ أو مع التجاوز ١: ٣,٠). وتنظم هذه المبادىء قواعد الأحوال الشخصية، أي الزواج والطلاق والوصية، وبها حكم واحد عن إثبات الديون، وأربع عقوبات (حدود) هي حد السرقة، وحد قذف المحصنات، وحد الزنا، وحد الحرابة، وباقي النظام القانوني في الإسلام من عمل الفقراء، أي أنه من عمل الناس غير مقدس ولامعصوم، ويطلق عليه خطأ لفظ الشريعة. وكل أحكام الشريعة القانونية الواردة في القرآن الكريم مطبقة في مصر، عدا العقوبات الأربع المنوه عنها والتي يلزم تطبيقها تحقيق العدالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حتى لا تطبق أحكام شرعية لأغراض غير شرعية. فالإسلام عدالة قبل أن يكون عقوبة.

وعندما ذكرنا ذلك سنة ١٩٧٩ لم تناقش جماعة الإخوان المسلمين المسألة بعلم ودراسة وإنما إنطلقت تحاربنا وتشوه من آرائنا وتسفه من فكرنا وتهددنا بالقتل والاغتيال.. ذلك لأنها جماعة لا تسعى إلى الحق ولا تقبل المنطق، ولكن تهدف إلى الإثارة وتحقق أهدافها بالإرهاب، وقد سكتوا ولم يردوا على السيد رئيس الجمهورية عندما ذكر أكثر من مرة أن القانون المصري لا يبعد عن أحكام الشريعة الإسلامية التي تطبق في مصر فعلاً، ولا ردوا على فضيلة شيخ الأزهر حين أكد أن القوانين التي تطبقها مصر تجري في نطاق الإسلام (جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٢/١٢، صفحة ١٠) ولا ردوا على الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي قال «لو نظرنا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر وجدناها مطبقة إلا في الحدود» جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٣/١ صفحة ١٠).

لقد اختزلوا كل الشريعة في العقوبات، واختصروا العقوبات في عقوبة ضد السرقة دون تحديد لماهيتها وشروطها، فجعلوا من الإسلام عقوبة والأصل أنه عدالة، وللتمويه والتضليل فقد علا صوت جهير من دعائييهم يردد مقولتنا فيعلن أن «العدل قبل الحد». فأين هو العدل الذي غاب عنهم، وما هي البرامج المفصلة الوافية لتحقيق العدالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟ وهل يجوز أن تقوم جماعة تدعى أنها تحيي الإسلام دون أن تدعو وتعمل على تحقيق شامل متكامل للعدالة في المجتمع وفي العالم؟ أم أنه العمل الدعائي والأسلوب الغوغائي النهج الديماجوجي للأيديولوجية الشمولية التي ترفع الشعار تلو الشعار وهي لا تدري من أمر ما تقول شيئاً!؟

(د) وقد قامت الجماعة، منذ بدايتها، على رفع لافتة «حاكمية الله»، وهو نفس قول الخوارج، ورددت في ذلك الآية الكريمة «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (سورة المائدة: ٤٤)، مع أن الآية لا تعنى إطلاقاً ما تقصده الجماعة، ولاما قصده الخوارج، لكنها تتعلق بواقعة محددة لم يطبق فيها يهود المدينة حكم التوراة، ولذلك فإنه يسبق هذه الآية آية أخرى توضح ذلك، يسقطونها عن عمد ويغفلونها عن قصد «وكيف يحكمونك وعندهم التوارة فيها حكم الله.. ومن لم يحكم بما

أنزل الله فأولئك هم الكافرون». إن الجماعة تقصد بدعوى الحاكمية أنه ليس للناس أي حق في الحكم والتشريع، فذلك حق الله ينفذونه هم باسمه.

وأخيراً، وفي شهر سبتمبر ١٩٩٤، صدر عن المركز الإسلامي للدراسات والبحوث التابع للإخوان المسلمين بيان جاء فيه ـ بصدد تعدد الأحزاب: «الأمة مصدر السلطات» و«أن الأمة لابد وأن يكون لها دستور مكتوب، نضعه ونتفق عليه، نأخذه من نصوص الشريعة الغراء.. يجعل الحكم شورى استمداداً من سلطة الأمة ويحدد مسؤولية الحكام أمام الشعب .... وهذا يقتضي وجود مجلس نيابي له سلطات تشريعية ورقابية ذات فعالية تتمثل فيه الإرادة الشعبية الحقيقية».

وهكذا انقلبت الجماعة على مبادئها، بل على أهم هذه المبادىء، وطفقت تدعى أنها تؤمن بأن السيادة للشعب والسلطان لمجلس نيابي. فإن تكن صادقة فيما تقول وتدعى فعليها أن تعلن بكل قوة وكل شجاعة أنها كانت ضالة ومضللة طوال السنوات الماضية (منذ سنة ١٩٢٨) وأنها سيرت الناس بشعار باطل وأشاعت الإرهاب بمقولة فاسدة. أما إن كانت تدعى ذلك من قبيل التقية حتى تصل إلى الحكم، فإنه يكون أمراً خطيراً يبين ما تقوم عليه الجماعة من عبثية وانتهازية وضلالية وإذا كانت القاعدة الذهبية في السياسة أن الغاية تبرر الوسيلة، فإنه لمن الإساءة للدين والإهانة للشريعة، أن يستخدم الدين وسيلة إلى الحكم بأي سبيل، وأن تستغل الشريعة وسيطاً إلى المال من أي جانب.

فإن كانت جماعة الإخوان المسلمين جادة في العدول عن أهم مبادئها وأعلى شعاراتها وهو «حاكمية الله» إلى المبدأ المدني (الذي تصفه خطأً بأنه مبدأ علماني) والذي يرى أن الحكم للشعب والسيادة للأمة، إذا كانت جادة في ذلك فلماذا لم تقدم صيغة للدستور (الوضعي!!) الذي تقترحه حتى يرى الجميع مدى التزامها بما تدعيه، وحتى تستبين آراؤها الحقيقية في سلطان الشعب وسيادة الأمة والحقوق السياسية لغير المسلمين؟ ولماذا لا تنشر دعاواها الجديدة خارج مصر!؟ ولماذا لا تقول رأيها في مدى تحقيق ذلك في الحكم (المسمى بالإسلامي) في إيران وفي السودان!.

(هـ) وواقعات التاريخ الثابتة تقطع بأن جماعة الإخوان المسلمين لم تحارب الاستعمار قط ولم تقف أمام طغيان القصر الملكي (ثم تآمرت عليه)، وازدهرت بمعاونة أحزاب الأقلية. كل ذلك لكي تضر الحركة الوطنية، وتشتت كفاح الشعب، وتقوض فكرة الوطنية، ومبدأ المواطنة. وكتب التاريخ حافلة بتصرفاتها في هذا، ومن هذه الكتب كتاب «الحصاد المر» الصادر عن الجماعة الإسلامية والذي يوثق نقائض الإخوان المسلمين ويدلل على نقائص هذه الجماعة.

أما تعاونها مع أجهزة المخابرات العالمية، وخاصة جهاز المخابرات الأمريكية (C.I.A) وجهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد)، وكلاهما ــ بالمناسبة ـ يعملان معاً، هذا التعاون قد أصبح في غير حاجة إلى بيان بعد أن استفاضت في دلائله كثير من الصحف والكتب الأجنبية (ومنها كتاب أسير للخميني Hostage to Khomeni). فأجهزة المخابرات تلك، هي التي ضغطت على الحكومات لتترك جماعة الإخوان المسلمين تعمل بغير شرعية، وهي التي أمدتها بالمعلومات والأموال والأماكن في كافة بلاد العالم، وهي التي سلمت لها دخول الولايات المتحدة، والإقامة فيها، والعمل بها، وجمع التبرعات، وقدمت لها مراكز للتدريب العسكري كيما تستخدمها لضرب الماركسيين، ولحرب الاتحاد السوفييتي في أفغانستان، ولتهديد نظم الحكم في البلاد الإسلامية.

وبهذه المعاونات الضخمة صارت الأيديولوجيا الإسلامية، حركة عالمية، وأصبحت شعارات ومقولات جماعة الإخوان المسلمين هي السائدة بين المسلمين في شتى أنحاء العالم، وهو أمر مقصود من أجهزة المخابرات لاستخدام الإيديولوجية في تحقيق أهدافها، ولضرب الإسلام من الداخل حيث يصبح الإسلام مرادفاً للإرهاب ويصير المسلم عنواناً للإرهابي.

وإذا كانت قد حدثت خلافات بين الأيديولوجيا الإسلامية (وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين) وبين بعض البلاد الغربية، فهو خلاف على المصالح وليس خلافاً على المبادىء. وقد كان من نتيجته أن انقلبت الأيديولوجيا الإسلامية (جماعة الإخوان المسلمين والجماعات التي انشقت عنها وصدرت منها على الولايات المتحدة أساساً، ثم على فرنسا،

وأصبحت تستخدم وسائل الارهاب التقني الـذي شـجعوها عليه وعلموهـا وسائله لكي تهدد هذه البلاد وترهب الآمنيين والمسالمين من أبنائها.

(و) والعنف والإرهاب، المعنوي والمادي، أهـم معـالم جماعـة الإخـوان المسلمين، وأظهر خيوط نسيجه الفكري والعملي، فقد بـدأوا يعـدون لذلـك منذ البداية، ثم شرعوا يعلمون الشباب المغرر به من أتباعهم ضرورة اللجوء إلى العنف والإرهاب لتحرير أرض مصر من الاستعمار، وأختاروا شعاراً لهم المصحف بين سيفين، أي كتاب ا لله والحـرب أو استخدام كتـاب ا لله في تبرير العنف والإرهاب، ووضعوا تحت هذا الرسم ذي الدلالة البالغـة تلـك الآية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بـه عدو ا لله وعدوكم» (سورة الأنفال ٨: ٦٠)، وبتأويل فاسد وتفسير مغـرض قالوا للشباب إنه ينبغي قتل العـدو في الداخـل قبـل التوجـه إلى العـدو في الخـارج، واعتـبروا أن عدوهـم هـو عـدو ا لله، وأن خصمهـم هـو خصـم الجلالة.. وبذلك وجهوا بنادق المسلمين إلى صدور المسلمين، وحولوا عـذاب المؤمنين إلى قلوب للمؤمنين ولا غرو في ذلك يتبعون خطى الخـوارج خطـوة خطوة، ويحذون حذوهم في كل مفاهيمهم ومقولاتهم، ومنها أن من لم يكن فيهم غير مسلم ولا مؤمن. وعللوا قتل الغـير، المسلم المؤمـن، بأنـه عدوهـم وعدو ا لله، وزعموا زوراً وبهتاناً أن النبي محمد (صلعم) أمر بأن يقتل غيلة بعض أعدائه (وأعداء ا لله) ومنهم كعب بن الأشرف، وأبو رافع سـلام بـن أبي الحقيق، والشاعر أبو عفك والشاعرة عصماء بنت مروان ـ وفي ذلك قال قائلهم «إن القتل غيلة من شريعة الإسلام»، وبهذا فقد جعلوا مـن الإسـلام الرحيم المسماح شريعة غدر وإغتيال وإرهاب.

وانتقلت خصائص الإخوان المسـلمين في الغـدر والاغتيـال والإرهـاب إلى كل جماعـات الإسـلام السياسـي، المنشـقة عنهـا والناتجـة منهـا، بـذات المفهوم ونفس الحجج. وأصبحت أمراً لصيقاً بهم وخصيصة أساسية فيهم ـ ولأنهـم انتشـروا في طـول المعمـورة وعرضهـا، بتشـجيع أجهـزة المخـابرات واستخدام أموال النفط وغير ذلك، فقد انتشر اسـلوبهم وذاع وعـم، وأصبح الناس في كل بلاد العالم يظنون خطأ أن هذا هو الإسـلام، لا الأيديولوجيـا الإسلامية، يساعدهم على هذا الفهـم الخـاطىء إصـرار جماعـات الإسـلام

السياسي أو الأيديولوجيا الإسلامية على أن ما يقدمونه هو صميم الإسلام وصحيح الشريعة، وأن كل قول غير قولهم علمانية (أي كفر) وكل شخص لا يؤكد مزاعمهم علماني (أي كافر). بهذا أساؤوا إلى الإسلام أبلغ إساءة، ونفروا العالم من الإسلام والمسلمين، وخلقوا جواً من العداء ضد المسلمين جميعاً، وأوجدوا اتجاهاً عالمياً بعدم التعاطف مع الإسلام والمسلمين في أي مكان، وهو ما ظل أثره في مسألة البوسنة ـ على سبيل المثال ـ ولا شك أن الأمور سوف تتفاقم والعداوة سوف تتزايد والمواجهة العالمية للمسلمين سوف تتكاتف، مما يلحق بقضايا المسلمين، وببلادهم، أبلغ الضرر.

وإذا كان الإخوان المسلمون يزعمون الآن أنهم نبذوا العنف والإرهاب فهذا غير حقيقي، ومجرد تقيه منهم، لاكتساب عطف الأجانب ورضاء الحكومة، ذلك أنهم ما زالوا يحملون ويرددون كل التفسيرات المغرضة والتأويلات الفاسدة والتعليلات الخاطئة التي تسوغ العنف والإرهاب وتضفي عليه شريعة من القرآن الكريم وحجية من السنة النبوية. هذا فضلاً عن أنهم اكتفوا الآن بلعب دور «المايسترو» الذي يحرك الجماعات الأخرى والشباب الغر المضلل لكي يمارسوا الأعمال القذرة بقتل الأبرياء، وترويع الآمنين ونشر الإرهاب، معتقدين (أي الإخوان) أن ذلك يجعلهم في مأمن من المسألة الجنائية ويبقى على قوتهم لتحكم بعد أن تؤدي أعمال القتل والترويع والإرهاب إلى زعزعة نظام الحكم وتمهيد الطريق لهم ليصلوا إليه. ونظرة إلى الجريدة التي تتحدث باسمهم تبين كيف أنهم يزاولون الارهاب المعنوي على أعلى مستوى، فيشيعون الرعب في المجتمع بأسره، ويعمدون إلى محاولة اغتيال شخصية أي معارض لهم بتشويه أفكاره وتلويث سمعته، يستخدمون في ذلك أقلاماً مأجورة وأقوالاً مسعورة. فهم لا يعرفون نقاشاً ولا جدالاً بالتي هي أحسن، ولا نقداً نزيهاً، ولا معارضة رشيدة. وأنى للإرهاب ألاّ يستخدم العنف المعنوي والكذب والتزوير والافتراء والادعاء؟.

ولكن، هل يستوي المأجورون المغتنمون مع هؤلاء الذين يقولون الحق ورؤوسهم على أكف أيديهم، يتوقعون الاغتيال في أي لحظة، ويتعرضون للمخاطر دائماً أبداً، لا يستويان! لا يستوي الأجير المغتنم، الذي يقول

لقاء عطية، ويكتب مقابل رشوة، مع الشـريف الأمـين الـذي يقـول الحـق مهمـا تعـرض لـلأذى، وينشـر الحقيقـة مهمـا تهـدد بالاغتيـال المـادي أو المعنوي.

(ز) وجماعة الإخوان المسلمين محل مطـاعن ماليـة وشـكوك في الذمـة منـذ أن بـدأت، وحتـى الآن. فزمـلاء مرشـدهم الأول الذيـن أسسـوا معـه الجماعة ابتداء جمعوا أدلة عن عبثه في أموال الجماعـة، خيانـة للأمانـة، فـأبلغوا ضـده النيابـة العامـة، لكنـه أسـكتهم بـالعنف وبـالعدوان عليهـم بـالضرب وعندمـا قـامت شـركات توظيـف الأمـوال الـتي عدهـا الإخـوان المسلمون جناحهم الاقتصادي ومارست عملها بالنصب والاحتيال، ومولـت عمليـات مشـبوهة وتجـارة محرمـة، وأشـاعت السـلوك الاسـتهلاكي في المجتمـع فلـم تُنتـج بـالأمول الـتي جمعتهـا ولم تُوجههـا إلى التصنيـع والاستثمار، بل اتجهت بهذه الأمـوال إلى الاتجـار في السـلع الاسـتهلاكية (كالسـيارات واللحـم والأثـاث والذهـب! !) ولم يكـن هنـاك إلا مصنـع أو إثنان، تبين فيمـا بعـد أنهمـا أقيمـا بالمضاربـة وتكـاليف أكـثر بكثـير مـن تكلفتهم الفعلية. واستخدمت هذه الشركات أموال المسلمين في المضاربة (أي المقامرة) في البورصات العالميـة علـى المعـادن والأوراق الماليـة، وكـانوا (هـم وأتباعهم، عندما يلامون على استخدام أموال المسلمين في المقـامرة، يـردون بأن اليهود يفعلون ذلك وأنه لابد من منافستهم، فالمسـألة ليسـت مبـادىء أخلاقية أو قيماً دينية، ولكنه عمل أي شـيء وإقـتراف أي إثـم، وتعليلـه وتبريره بحجج واهية بعيدة عن الدين وأسانيد باطلة نائيـة عـن الشـريعة. وقد ظلوا يضـاربون (يقـامرون) بـأموال المسـلمين حتـى اسـتدرجتهم بعـض البيوت المالية العالمية والحقت بهم خسـائر فادحـة كشـفت عـن جريرتهـم وأسفرت عن حقيقتهم وذهبت أموال اليتامى والأرامل وأرباب المعاشـات ـــ الذين ضللتهم بطانة ممن يدعـون أنهـم علمـاء الإسـلام وحمـاة الشـريعة ـــ سدى في المقامرة وتعاطي المخدرات وبناء القصـور وتعـدد الزيجـات ورشـوة بعـض ذوي النفـوذ فيمـا يسـمى بكشـوف البركـة. ومـن أسـف فـإن هـذه الشركات نحلت (اختلقت) حديثاً عن النبي (صلعم) يقول «لأن ينكح أحد أمه في حجر الكعبة خير مـن أن يـأخذ فوائـد البنـوك» ومـع أن الحديـث

واضح الانتحال، إذ لم يكن في عهـد النبي (صلعم) نقد ولا بنوك، فإن أحداً من رجال الأزهر الشريف أو ممن يدعون الغيرة على الديـن والحفاظ على الشريعة لم يرد عليهم. أبداً لم يرد عليهم أحد من هؤلاء، بل سكتوا عن النحل الحرام لكي يستفيدوا بالمال الحرام!

ولم يعرف عن جماعة الإخوان المسلمين ـ أبداً ـ وجود ميزانية لهم نتبين فيها حقيقة الموارد وحقيقة المصارف. فتصرفاتهم المالية سرية دائماً، كأجهزتهم السرية كذلك، وفي السرية يمكن إخفاء الحرام والرشوة والفساد والاختلاس.

وها هي كل النقابات التي يسيطر على مجالس إدارتها أفراد من جماعة الإخوان المسلمين تسفر عن إنحرافات مالية، ورشاوي واختلاسات وسوء استخدام المال العام، وتحقق النيابة العامة في بلاغات قدمت لها في ذلك؟. وسوف يسفر الغد عن كثير!

ثم ماذا؟

إننا لا نعارض جماعة الإخوان المسلمين (وكل الجمعيات المنشقة عنها والصادرة منها والمماثلة لها) عفواً أو عبثاً، لكننا نعارض فيهم استغلال الإسلام لدواع سياسية، واستخدام الشريعة لأسباب حزبية، وتشويه الدين الحنيف بتحويله إلى أيديولوجيا سياسية كهنوتية، وتفريغ الإسلام من مضمونه الخلقي، وتسويغ أي فعل وتبرير أي تصرف ـ مهما كان لا إنسانياً ولا خلقياً ـ بأسباب من القرآن أو سوابق من الحديث، وتنظير الإرهاب دينياً وتسويغه شرعياً، وتنشر العنف والإرهاب في العالم، أجمع مما شوه الإسلام ولوث شريعته لأجيال بعيدة آماداً طويلة، ورفضهم مبدأ الحوار بالعلم والجدال بالحسنى والنقاش بالتي هي أفضل، وإهدار دم مخالفيهم من المفكرين والكتاب، وإخراج كل المسلمين ـ عدا أتباعهم ـ من دولة الإسلام، وإنزال وصف الكفر والإلحاد عليهم وتبديدهم طاقة الأمة، وقسمتهم الناس إلى إيمانيين (أي أنصارهم) وعلمانيين (أي ملحدين لم يكونوا من أنصارهم)، واتخاذهم التقية والنفاق أسلوباً للعمل ونهجاً للقول وطريقاً للفعل وانكار حقوق الإنسان، ورفضهم مبدأ المواطنة (مما يقر أن

غير المسلمين بلا حقوق سياسية على الإطلاق ولا حقوق مدنية إلا في نطـاق ما يسمون هم به)، ورفع سلاح المسلم على المسلم.. إلى غير ذلك مما تطـول قائمته. والنتيجة التي وصلوا إليها هي عـداوة العـالم للإسـلام والمسـلمين، وحرب المسلمين للمسلمين في أفغانتسان، والصومال ولبنان (والبقية تأتي)، وإطلاق المسلمين النار علـى مسـلمين وهـم داخـل المسـاجد في السـودان وفي باكستان بغير رعاية حرمة للمكان ودون احترام قيمة الإنسان.. فماذا بقـي لهم من الإسلام ومن الشريعة ومن الخلق ومن الإنسانية؟ ولماذا لا يعارضهم كل عاقل، مما هددوه وأرهبوه، وأهدروا دمه وتوعدوه بالقتل غيلة؟

وإن المناظرة التي يتضمنها هذا الكتاب هو خير دليل على هوان موقـف الإخـوان المسـلمين (وشـيعهم وأضرابهـم) وثبـات موقـف معــارضيهم ومخالفيهم، عرضت بصورة موفقة، وبأسلوب علمي، وبنهج سديد.

وإنه لمن تسطيح الفكر وتغييب العقل أن يقال عمـن يخـالف جماعـات الإسلام السياسي (الأيديولوجيا الإسلامية) أنـه موافـق الحكومـة. إن ذلـك أخذ بنظرية طفولية قـاصرة تقـول «عـدو عـدوي صديقـي». إن أغلـب مـن يعـارضون الإسـلام السياسـي لا يوافقـون الحكومـة. فهنـا أخطـاء وهنـاك أخطاء. وليس يعني نقد الحكومة الانضمام لصفوف الأيديولوجيا الإسلامية رغم خطأ مفاهيمها وخطر أسلوبها، والنتائج الوخيمـة الـتي انتهـت إليهـا مع المسلمين وغير المسلمين، وفي العالم أجمع. إن مـن يـأخذ الأيديولوجيـا الإسلامية لأنه يعـارض الحكومـة قـاصر الفكـر، مشـوش الفهـم، انتهـازي الفعل، وإننا لندعو الجميع أن يكونوا على الجادة، وأن يقفوا مـع الحـق، وأن يتبعوا طريق الصواب.

د . نصر حامد أبو زيد

مقاربة منهجية

عادل حسين ورفعت السعيد

خطابان أم خطاب واحد؟

من المتفق عليه ــ نظرياً على الأقل ــ أن الواقع المصري، وكذلك العربي، في حالة من التردي الشامل، وأن معدلات الانهيار تتزايد وتتفاقم، الأمر الذي يفرض على كل القوى الوطنية، بعناصرها الاجتماعية والسياسية والفكرية، أن تتكاتف وتتساند من أجل صياغة «مشروع» للانقاذ الوطني والقومي، واللبنة الأولى في صياغة هذا المشروع الاتفاق على الحد الأدنى من «الأهداف المشتركة» التي ينبغي أن تتحقق. أما اللبنة الثانية فهي الاتفاق على «الوسائل» أو الآليات التي تصلح لتحقيق هذه الأهداف المشتركة. ثم تتحول هذه الأهداف والوسائل إلى خطط عمل قابلة للتنفيذ بحسب كل مجال نوعي من مجالات الحياة والواقع بدءاً من التعليم بمراحله المختلفة وصولاً إلى طبيعة النظام السياسي وآليات اتخاذ القرار والعلاقة بين السلطات والمؤسسات.

ولقد كانت الدعوة إلى الحوار الوطني سبيلاً للوصول إلى بلورة الملامح العامة لمشروع الإنقاذ ذاك، لولا ما شاب هذا الحوار من آليات بدأت باستبعاد عناصر من القوى الوطنية، وإقصاء كثير من الرموز الفكرية والسياسية، وانتهت بهذا التحديد الصارم لموضوعات الحوار من جهة وللوقت اللازم لإجراء هذا الحوار من جهة أخرى .

وقد كان هذا طبيعياً في ظل دعوة للحوار فرضت من أعلى، أي فرضت بوصفها قراراً سيادياً واجب النفاذ، وهو ما يتعارض تعارضاً كلياً مع مفهوم «الحوار». لذلك كان لابد من أن يستمر الحوار ويتواصل خارج إطار الهيمنة السيادية لقرارات السلطة السياسية.

كانت مبادرة «الحوار الفكري» الذي دار بين كل من عادل حسين ورفعت السعيد ـ والألقاب محفوظة ـ في الأيام الأخيرة من شهر رمضان علامة طيبة من زوايا عديدة المتمثلة في كتابات عامة وأخرى نوعية، يمثل عادل حسين مدرسة في الفكر الاقتصادي، ويمثل رفعت السعيد منهجاً في «التاريخ السياسي». الزاوية الثانية أن كلاً منهما يمثل حزباً من الأحزاب السياسية في الحياة المصرية، يمثل عادل حسين حزب «العمل» الإسلامي بوصفه أميناً عاماً، وبنفس الصفة يمثل رفعت السعيد حزب «التجمع» التقدمي الاشتراكي. الزاوية الثالثة والهامة، أن عادل حسين انتقل من معسكر الفكر الماركسي إلى معسكر «الحل الإسلامي»، وعادل حسين من هذه الزاوية يمثل نقطة التحول (الاجتماعي السياسي الاقتصادي الفكري) التي مر بها الواقع المصري تمثيلاً رمزياً. أما رفعت السعيد المؤرخ السياسي فهو مشغول منذ فترة ليست بالقصيرة بمساجلة تيار «الحل الإسلامي» متوغلاً في تحليل ظروف نشأته التاريخية وعوامل تطوره كاشفاً القناع عن بُعد «العنف» و«التطرف» في هذا التاريخ.

من هنا تأتي أهمية هذا اللقاء والحوار، ومن هنا يأتي الحرص على تحليله تحليلاً يكشف آلياته وبنيته، الظاهرة والمضمرة، سعياً من جانبنا لتعميق مفهوم الحوار والانتقال به من حالة «المناظرة»، وما يلابسها من السعي إلى «الغلبة» بمصارعة الخصم وطرحه أرضاً أمام الجمهور، إلى «الحوار» الذي يدمج الطرف الثالث، الجمهور، في بنيته. ولأن كاتب هذه السطور مشغول أساساً بقضايا «تحليل الخطاب»، وهي القضايا التي يتصور أنها يمكن أن تساعد بشكل مؤثر وناجز في تحليل أبنية «الوعي» في ثقافتنا فإنه في هذه الدراسة يعتمد على المنطلقات المنهجية والإجراءات التحليلية لهذا العلم. وعلم تحليل الخطاب ينطلق من مسلمات ذات طبيعة معرفية، ويستخدم إجراءات تحليلية ذات طبيعة لغوية وأسلوبية وسردية، وذلك يمكن قوله ملخصاً على الوجه التالي:

المسلمة المعرفية الأولى: أن بنية «الوعي» الاجتماعي تتجلى من خلال الثقافة بوصفها «خطاباً» أي مجموعة من الأنظمة الدلالية الرمزية التي تتواصل من خلالها الجماعة المعنية. وكل نظام من هذه الأنظمة يمثل

«خطاباً» نوعياً داخل بنية «الخطاب» الثقافي العام، لكن هذه «الخطابـات» النوعية تجـد تعبيرهـا الجوهـري في «خطـاب» لغـوي، لأن «اللغـة» تمثـل النظام الدلالي المركزي في بنية الثقافة.

يتفرع عن هـذه المسلمة الأولى مسلمة فرعيـة ثانويـة فحواهـا أن بنيـة «الوعي» الفردي تتجلى هي الأخرى في «خطاب» ينتجه الفرد، مع التأكيد أن الوعي الفردي بنية ثانويـة مـن الوعـي الاجتمـاعي. وحيـث أن الوعـي الاجتماعي هو مجموعة من المستويات التي تتميز وفقـاً لاعتبـارات كثـيرة، لعل أهمها مستوى التعليم والطبقة الاجتماعية والانتماء العرقي والمكانـة... الخ، فإن الوعي الفردي ليـس تعبـيراً عـن «الفـرد» معـزولاً عـن انتمائـه أو انتماءاته.

المسلمة الثانية المعرفية في علم «تحليل خطاب»، أن كل خطاب يتصور امتلاكه للحقيقة يعد خطاباً زائفاً، ذلك أن الخطابات كما أسلفنا تعبير عن أبنية وعي، وليس ثمة بنية وعي تتطابق تطابقـاً كليـاً مـع بنيـة العـالم أو التاريخ أو الحقيقة. وينبع عدم التطابق هذا من كون «اللغـة» الـتي يتجلـى من خلالها الوعي في شكل «خطاب» نظاماً رمزياً لا يتمـاثل مـع مـا يرمـز إليه على أي مستوى من المستويات، فليست كلمة «الـدم» هـي الـدم ذاتـه بخصائصه الفيزيقية ومكونات عناصره ناهيك بلونـه أو رائحتـه أو طعمـه. هذا من جانب، واللغة ـ من جانب آخر ـ لا تولد معنا، بـل نحـن الذيـن نولد فيها وتصنفنا إلى حد كبير بما تحمله ـ عبر تاريخها ـ مـن خطابـات تمثل أبنية وعي نطلق عليهـا أحيانـاً اسـم «الـتراث» أو «التقـاليد»، الـتي ليست سوى «خطابات» في تاريخ اللغة، ومعنى ذلك أن أقصـى مـا يفعلـه الفرد أو الجماعة أو خطابات في اللغـة، تتقـاطع أو تتشـابك أو تتمـاثل أو تتفاعل ـ دون أن تستقل مائة بالمائة ـ مع خطابات سابقة.

المسلمة الثالثة المعرفية ـ والتي ترتبط بمسألة الحوار ارتباطاً مباشراً ـ أن الخطابات لا تستقل عن بعضها البعض استقلالاً تاماً تتحول من خلاله إلى «نقـائض» أو «أضـداد»، خاصـة إذا كـانت خطابـات في منظومـــة ثقافيـــة اجتماعية وتاريخية واحدة.

إن حرص كل «خطاب» على أن يبرز استقلاله، وعلى أن يؤكد تميزه وانفصاله، عن الخطابات الأخرى ليس إلا آلية من آليات كل خطاب لإقصاء الخطابات الأخرى. وهي علامة من علامات «الخلل» في بنية الثقافة دالة على إرهاصات انشقاق وتشظ واهتراء في النسيج الاجتماعي. ومهمة علم تحليل الخطاب أن يرصد هذه الآلية ويكشف عن طبيعتها الإقصائية، ويكشف في نفس الوقت بالتحليل العميق عناصر «التداخل» في الخطابات.

من هذه المسلمة الأخيرة يرصد علم تحليل الخطاب مستويين في كل خطاب: مستوى «المنطوق»، وهو الدلالات المفصح عنها والتي يعنيها الخطاب بالدرجة الأولى. والكشف عن هذا المستوى يعد مقدمة للولوج إلى المستوى الأعمق. ولا يحتاج المحلل لكشف دلالة المنطوق شيئاً وراء إجراءات علم اللغة التقليدية، وهي الإجراءات المعروفة باسم التحليل الفيلولوجي.

المستوى الثاني هو الكشف عن «الفحوى» أو «المفهوم»، وهي الدلالات المضمرة في بنية الخطاب، والتي يمكن الكشف عنها من خلال تحليل بعض عناصر الخطاب، مثل المرجعية اللغوية، كما تتبدى في طبيعة المفردات والتراكيب اللغوية وما تحيل إليه من دلالات من حيث هي مفردات وتراكيب تنتمي إلى نمط تاريخي بعينه في «خطابات» اللغة. العنصر الثاني الذي يمكن أن نكتشف من تحليله «فحوى» الخطاب هو عنصر التأكيد والتكرار، وهذا العنصر يكشف عن عنصر ثالث، عن ما هو «غائب»، ذلك أن التأكيد والتكرار يعني تركيز «الحضور» للعناصر المكررة، وكل «حضور» يقابله «غياب» أو بالأحرى «تغييب» عمدي يكشف للمحلل بشكل أعمق الدلالات المضمرة في الخطاب.

المرحلة الثالثة في تحليل الخطاب، بعد كشف المستويين السابقين، هي تحليل بنية الخطاب وذلك بتجاوز عناصر اللغة والأسلوب إلى البنية السردية، أي تركيب الأجزاء وترتيبها، بحيث يكشف التحليل «الجوهري» و«الثانوي» في بنية الخطاب، وما يقع في بؤرة الدلالة وما يلحق بهامشها. وهذا المستوى الثالث من التحليل هو الذي يمكن الباحث

من كشف طبيعة العلاقة ـ أو العلاقات ـ بين الخطابات، والتي قد تبدو من خلال تحليل المستويين السابقين متناقضة ومنفصلة انفصالاً تاماً. ذلك أننا سنكتشف أن الفروق بين الخطابات تتمثل في عمليات «التبئير» ـ أي التركيز بالوضع في بؤرة الدلالة ـ و«التهميش» بالنسبة للعناصر المكونة للخطاب، فما هو في البؤرة في خطاب يضعه خطاب آخر في الهامش وهكذا.

١ ـ مناظرة أم حوار:

منذ البداية حرص الصديقان ـ طرفا الحوار ـ على تأكيد أن ما هما بصدد القيام به ليس «مناظرة» (رفعت السعيد)، وليس «تناطحاً» (عادل حسين)، بل هو «حوار» بهدف «أن نفهم وأن نتفهم، أن نتفاهم على قدر ما نستطيع» (رفعت السعيد). وهذا أمر أكده عادل حسين بطريقة أخرى، بالإضافة إلى أنه «قلب مفتوح وعقل مفتوح»، لأن ما يربطه بمحاوره صداقة طويلة وعريقة منذ خرجا من السجن عام ١٩٦٤، وأعلن ندمه كيف لم يتحاورا طوال هذه المدة!!. ثم قال إن فترة سجنه الأخيرة كانت فرصة لمراجعة النفس في أمور كثيرة، ومنها مسألة الحوار مع رفعت السعيد.

هذا الاستهلال يتضمن على مستوى المنطوق حرصاً على إبداء النوايا الطيبة من الجانبين، لكن عنصر التأكيد والإبراز، إلى جانب عنصر الاستبعاد والإخفاء، يجعلنا نتوقف أمام هذه الدلالات ونتساءل: ما دلالة نفي مفهوم «المناظرة»، رغم أن ما حدث في الحقيقة لم يكن سوى «مناظرة» وليس «حواراً»؟! هل يستدعي هذا الاستبعاد ـ بدلالة المخالفة ـ في وعي الصديقين ما سبق حدوثه من مناظرات بين أنصار «الحل الإسلامي» والمدافعين عن مفهوم «الدولة المدنية» في معرض الكتاب عام ١٩٩٢؟! لقد استبعد رفعت السعيد «المناظرة» بينما استخدم عادل حسين «التناطح»، وهي مفردة لغوية تحيل دلالياً إلى «مصارعة الثيران»، فهل كان ما حدث في معرض الكتاب «مناطحة ثيران»؟! أعتقد أن الصديقين كانا يعبران ـ بطريقة ضمنية لافتة ـ عن أمنياتهما ألا يكون لقاؤهما هذا تكراراً لما سبق

حدوثه، لا على مستوى من الممارسة ولا على مستوى النتيجة، وهـذا أمر مشروع على أية حال.

حرص رفعت السعيد على تكرار دلالة «الفهم» بصيغ حرفيـة تبدأ مـن الثلاثي (أن نفهم) وتتصاعد إلى الخماسي (أن نتفهـم) بالتـاء والتضعيـف الدال علـى بـذل الجهـد والقصـد إلى الوصـول إلى الفهـم، حتـى يصـل إلى الخماسي (أن نتفاهم) الدال على المشاركة في الفهم بين طرفـين يصـل كـل منهما إلى «فهم» الآخر. هذا الحرص نفسه باد في مفردات عـادل حسـين، وإن كانت تميل إلى مجالات دلالية أخرى (قلـب مفتـوح) و(عقـل مفتـوح) والندم على (عدم الحوار) سابقاً ثم الدعاء أن يفتح ا لله (الصدور والعقـول). لكن هذا الحرص من الطرفين على مسـتوى المنطـوق لا يعـني أن (المفهـوم) واحد، فالمجال الدلالي لخطاب رفعت السعيد يتمثل في الفعالية الإنسـانية بينمـا يحيـل المجـال الـدلالي لخطـاب عـادل حسـين إلى مجـال الفاعليـة الإنسانية المشمولة بفعالية مفارقة والمحكومة بهـا، ذلـك أن ا لله سبحانه وتعالى هو الذي يفتح الصـدور والقلـوب لبعضهـا البعـض. ومعنـى ذلـك أن الاتفـاق علـى مسـتوى المنطـوق لا يعنـى اتفاقـاً علـى مسـتوى «النحـوي» و«الفحوى» في الافتتاحية على الأقل.

لذلك سنجد أن الاتفاق ـ الذي يعبر عن الأمنيات ـــ في الافتتاحيـة قـد أخلى مكانة للاختلاف، فتحول اللقاء إلى «مناظرة»، وأخشى أن أقـول إلى «مناطحة» سالت فيها دماء الأماني الطيبة، وتبددت فيها عناصر الصداقـة المستدعاة، وصرنـا إزاء خطـابين يعطـي كـل منهمـا ظهـره للآخـر تمامـاً متجاهلاً في الوقت نفسه حقيقة أن الخطاب الآخر ـ الـذي يتجاهلـه علـى مستوى المنطوق ـ ماثل فيه على مستوى المفهوم والبنية ومحايث له.

ولقد أحس المتناظران ـ ولا أقول: المتحاوران ـ بهـذه النتيجـة الفاجعـة لكل منهما، والتي لم تكن كذلك بالنسبة للجمهـور الـذي حضـر للفرجـة وتشجيع اللاعب الذي ينتمي إلى ناديه.

كان عادل حسين محقاً تمامـاً في تعقيبـه حـين قـال: «حديـث رفعـت السعيد هو بالدقة ما يعنى المناظرة»، وكان محقاً كذلك في وصفـه لـه بأنـه

يتصور «أنه صاحب الفهم الصحيح للإسلام». لكنه راح بدوره يبرز ما قاله في حديثه الأول بطريقة إيحائية وضمنية، أي أنه راح يبرز ما كان مضمراً ويعطيه مركز «الصدارة»، وذلك حين تحدث عن «الحوار في إطار التوافق الإسلامي» وعن قدرته على تحديد «الأهداف العامة» و«نوع الخلاف» وحدوده، وقدرته أيضاً على إيجاد «وسائل» حل هذا الخلاف. وبعبارة أخرى جعل عادل حسين «الحوار» شأناً لايمكن أن يقوم، ولا يمكن أن يحقق الهدف منه إلا في إطار «التوافق الإسلامي» وبذلك حصر «الحوار» في القضايا التالية، بشرط أن يكون الحوار في «محبة الإسلام»:

١ ـ لكي نؤكد الوجه الصحيح للإسلام من منظور الأصولية الإسلامية.

٢ ـ كل القضايا تناقش في «المنظور الإسلامي».

٣ ـ مفهوم الدولة: هل هي مدنية أم دينية؟

وهي قضايا يرى عادل حسين أنها يمكن بالجوار أن تصل بالمتحاورين إلى الاتفاق، ثم يأتي الاختلاف في شكل «اجتهادات» مع الالتزام بآراء الإسلام، ويرى أن هذا هو «التاريخ»، الذي هو بخلاف التاريخ الماضي الذي يجعل هواجس رفعت السعيد من الدولة الدينية والحكم الديني مشروعة، لأن هناك قوى في التاريخ الماضي احتكرت الدين.

في ظل هذه الشروط والثوابت التي يحددها عادل حسين للحوار ـ بوصفه نقيضاً للمناظرة ـ من حق رفعت السعيد أن يحس (بالاستدراج) على حد تعبيره، وهو الاستدراج الكامن في شرط الاتفاق على «الحل الإسلامي»، الأمر الذي يعنى الاتفاق مسبقاً مع التيارات الإسلامية التي يجمعها كلها شعار: «الإسلام هو الحل». والإحساس بالاستدراج تعبير عن هاجس في بنية خطاب رفعت السعيد، وهو إحساس تحكم في بنية خطابه إلى حد كبير، كما سنشير في تحليلنا في فقرة تالية. إن ما هو غائب في منطوق خطاب رفعت السعيد ـ وبالتالي في مفهومه ـ هو ما عبر عنه الشاعر سمير عبد الباقي في ملاحظته الموجهة لعادل حسين (مصباح قطب: ليلة تدفق فيها السؤال وتعطلت فيها الأجوبة، الأهالي، ٨ مارس ١٩٩٥، ص: ٧): «ليس الخلاف مع الإسلام، ولكن وجداننا الوطني المصري أكثر عمقاً

تاريخياً وأرحب، والإسلام في مصر كالمسيحية كان مصرياً. إن الخلاف هو في اعتبار الإسلام وحده الجذور والأصول للوطنية المصرية».

ويتأكد أن الذي حدث كان «مناظرة» و«تناطحاً» وليس حواراً من تعليق بعض الذين تناولوا الموضوع من الجانبين (الأهالي ١٥ مارس، ص: ٨). لقد كانت التعليقات أشبه بتعليقات المحللين لمباريات «كرة القدم» في جانب منها على الأقل، وليس في كل الجوانب. ونقول ذلك حتى لا يتصور الأساتذة المعلقون من الطرفين أن نصف تعليقاتهم المنشورة كلها بهذا الوصف، بل بعض الملاحظات فقط في هذه التعليقات هي التي يصح عليها وصفنا.

يرى الأستاذ صلاح عدلي مثلاً:

١ ـ إن اللقاء كان مناظرة فعلاً. ويعلل ذلك باختلاف مشروع كل من التيارين اختلافاً جذرياً بحيث لا يوجد مجال للتوفيق بينهما خاصة في الموقف من الدولة الدينية وتطبيق الشريعة والقانون الوضعي وحرية الفكر. ولم يلحظ صلاح عدلي أن تلك قضايا تجنبها المتناظران تجنباً شبه تام باستثناء قضية «الدولة الدينية» التي مساها مساً رقيقاً. وتلك دلالة سنعود لمناقشتها فيمابعد.

٢ ـ ينقد الدكتور رفعت لأنه «أعطى للجانب التاريخي والفقهي وقتاً أكثر من اللازم» وهو نقد شبيه إلى حد كبير بنقد اللاعب ـ الذي يضيع وقت المباراة ـ في النقد الفني الرياضي. وإذا كانت مقولة الكابتن لطيف الشائعة جداً هي أن «الكورة أجوال»، فقد كان الواجب على رفعت السعيد فيما يرى صلاح عدلي: «أن يركز على الوقت الحاضر والأطروحات المعاصرة والدخول مباشرة في القضايا السياسية محل الخلاف».

٣ ـ لكن هذا النقد لا... يخفي جانب الإعجاب بأنه كان «الأقوى حجة والأكثر تأثيراً وامتلاكاً لأدواته ولذلك فقد حقق انتصاراً (لاحظ دلالة المفردة اللغوية) واضحاً لوجهة نظره، واستطاع أن يعرض وجهة نظر متكاملة حول الجذور الفكرية للتطرف والإرهاب.

أما الناقد الآخر ـ مجدي قرقر ـ فيرى أن «المباراة» كان يجب أن تبدأ بحديث رفعت السعيد «حتى يعرض رؤيته النقدية ليعقب عليها عادل حسين»، وهو رأي لا يخلو من وجاهة باعتبار «المناظرة» لأن «المعقّب» يتمكن من «تفنيد» أدلة المتحدث الأول في الوقت الكافي، وهي فرصة لا يتيحها تعقيب المتحدث الأول على حديث خصمه.

وهو يمتدح لاعبه لأنه تحدث في «إطار ما يقتضيه فقه الأولويات»، كما تحدث «بلغة السياسي دون أن يتنازل عن صحيح دينه». لكن رفعت السعيد ـ اللاعب الخصم ـ وقع في تناقضات كثيرة من منظور مجدي قرقر، لعل أهمها أنه يوظف الدين لدحض رؤية مخالفيه، ومن هنا ينطبق عليه هو مصطلح «التأسلم» الذي يطلقه على الإسلاميين. و«تأسلم» رفعت السعيد من منظور مجدي قرقر يقوم على «اجتزاء النصوص» على طريقة «ولا تقربوا الصلاة» وعلى «تزييف التاريخ»، ثم يقرر مجدي قرقر مسألة أن التعددية والديمقراطية (التي هي الشورى) من أصول الإسلام، كما أنه لا توجد في الإسلام دولة «ثيوقراطية» يحكمها رجال الدين، وإنما هي دولة دينية يحكمها رجال مدنيون ـ لكن أحكامها تستمد من «الدين».

٢ ـ موضوع المناظرة: المنطوق والمفهوم:

من الواضح أنه لم يكن هناك اتفاق مسبق على موضوع «المناظرة» أو «الحوار»، ولم يكن هناك بالتالي تصور عند كلا المتناظرين ـ أو المتحاورين ـ حول نقاط الاختلاف التي يمكن أن تثار. كان من الواضح أن عادل حسين جاء ليثبت لرفعت السعيد والحزب الذي يمثله أن حزب «العمل» ليس فرعاً من الإخوان المسلمين. من هنا بدأ حديثه بالتعددية واختلاف الاجتهادات داخل جبهة «الحلف الإسلامي» كما أسماه، وذلك لكي يصل إلى إثبات أن كل الفصائل العاملة في حقل الدعوة إلى «الحل الإسلامي» انبثقت من داخل «الإسلام» ذاته، وليس من عباءة «الإخوان المسلمون»: «كلنا خرجنا من عباءة الإسلام وكلنا استخلصنا اجتهاداتنا عبر فهمنا للأصولية الإسلامية المشتركة». كان هذا هو الهدف الأساسي من حديث عادل حسين.

وهذا بالضبط ما كتبه في جريدة «الشعب» (١٠ مارس ١٩٩٥، ص: ٥) تعقيباً على الحوار المنشور. قال بعد أن اعتذر عن التقصير في تغطية الندوة من جانب محرر جريدة الشعب:

«لم يكن هدف الحوار إقناع رفعت السعيد بالتنازل عن آرائه... ولكن كان الموضوع حول ما إذا كان هناك معتدلون ومتطرفون في الحركة الإسلامية». ومعنى ذلك أن بؤرة الحديث كانت إثبات التباين والاختلاف في وجهات النظر. داخل الحركة الإسلامية، وذلك بهدف إثبات أن هناك معتدلين وهناك متطرفين. لكن عادل حسين لم يذكر أبداً وجود متطرفين - أو إرهابيين - في الحركة الإسلامية، فانتهى على مستوى «الفحوى» إلى إثبات التباينات والاختلافات كلها «اجتهادات» منبثقة من «الأصول الإسلامية» المشتركة.

لكن ثمة هاجساً فرض نفسه على خطاب عادل حسين من كتابات رفعت السعيد في الأهالي بصفة خاصة عن جماعة «الإخوان المسلمين» وتبنيها للعنف منهجاً في التعامل مع الواقع منذ المرحلة الأولى من تكوينها وفي حياة مؤسسها الأول «حسن البنا». هذا الهاجس فرض على خطاب عادل حسين مجموعة من المقولات تؤكد جميعها أن الجماعات الإسلامية عضوياً لم تخرج من الإخوان المسلمين (التأكيد من عندنا)، وأن حزب «العمل» - من ثم - لم يخرج من الإخوان المسلمين، فالكل خرج من عباءة الإسلام. في هذا التأكيد يتجاهل عادل حسين الواقع والتاريخ المعلوم للكافة عن انشقاق الجماعات - عضوياً - من بعضها البعض نتيجة بعض الاختلافات. انشق القطبيون أولاً عن الجماعة الأم (كتاب حسن الهضيبي: دعاة لا قضاة)، وانشقت التكفير والهجرة من القطبيين، ثم تشققت التكفير والهجرة - داخل السجن - إلى جماعات أصغر وهكذا.

والاختلافات بين هذه الجماعات كما يعلم عادل حسين جيداً، ليس اختلافاً في الفروع، وليس اجتهادات حول فهم نفس الأصول، بل هو اختلاف حول «أصول» حركية وحول أولويات، ذلك أن الكفاءة المعرفية لزعماء هذه الجماعات لا ترقى إلى مستوى مناقشة أصل من الأصول التي تحدث عنها عادل حسين دون أن يحددها، ولو عن طريق ضرب الأمثلة.

وحزب العمل الاشتراكي تحول إلى حزب العمل الإسلامي من خلال آليات «التحالف» السياسي والفكري مع الأخوان المسلمين، الأمر الذي أفضى إلى سيطرة الاتجاه الإسلامي على الحزب. والتاريخ القريب جداً للانشقاق الذي حدث داخل الحزب فأحدث نزاعاً حول الاستيلاء على مقار الحزب في بعض المناطق يشهد على ذلك. لكن عادل حسين أراد أن يصور الأمر السياسي في تكوين الجماعات وانبثاقها بوصفه أمراً معرفياً وعراكاً فكرياً خارج الزمان والمكان، وهو تصوير أيديولوجي بامتياز كما يدرك عادل حسين جيداً.

كثير من الملاحظات السابقة تنطبق على خطاب رفعت السعيد، الأمر الذي يبدو مفتقداً هو الآخر لتحديد الموضوع ولتحديد نقاط الاختلاف، ولعل من أهم الملاحظات أن خطاب رفعت السعيد مسكون هو الآخر بهاجس الاتهامات التي يطرحها خطاب الإسلاميين، لذلك كان حريصاً على الاستناد إلى النصوص في كل ما يقول. كما كان حريصاً على الضبط اللغوي الفيلولوجي للمصطلحات بالعودة إلى معاجم اللغة، دون أن يدرك أن المصطلح في مجال تداوله يتباعد عن أصله اللغوي تباعداً قد يصل إلى حد التنكر للأصل ذاته. والغاية التي كان يسعى إليها خطاب رفعت السعيد من عملية رد المصطلح إلى أصله اللغوي هي حرمان الحركة، أو الحركات، الإسلامية من أن توصف بالأصولية أو التطرف أو السلفية، وذلك لصالح الوصف الذي صاغه رفعت السعيد واشتقه من «التأسلم».

ومن الواضح أن محاولة رفعت السعيد التمييز بين «الإيماني» و«السياسي الاجتماعي» في ظاهرة الدين، واعتبارهما عنصرين غير متلازمين تستهدف أول ما تستهدف التعامل مع ما يسمى بالحركات الإسلامية بوصفها حركات سياسية. لكن آلية الإقصاء، أي إقصاء هذه الجماعات، عن دائرة الإسلام تمت في خطاب رفعت السعيد عن طريق توظيف النصوص الدينية ذاتها، أي تمت وفق آليات عدم التمييز بين الديني والسياسي. لذلك كان من السهل على مجدي قرقر أن يتهم رفعت السعيد باجتزاء النصوص. والحقيقة أن هذه الآلية - آلية توظيف النصوص لإقصاء الخصم - هي الآلية التي تجمع بين الخطابين، مع ضرورة ملاحظة

أنها آلية مضمرة في خطاب عادل حسين حين جعل شرط الحوار «الاتفاق الإسلامي».

والخطابان في النهاية لا يختلفان كثيراً حول القضية التي طرحها عادل حسين عن التعددية بوصفها اجتهادات في فهم الأصول الإسلامية. يرى رفعت السعيد أن الجماعات ثلاثة أقسام «ولكن الخيمة واحدة والوعاء الفكري واحد»، وهذا كلام لا يختلف كثيراً عن كلام عادل حسين. ويبدأ التمايز بين الخطابين يتحدد على مستوى واقع «العنف» و«الإرهاب»، ففي حين يرفض عادل حسين «القول بأن أي شاب يلجأ للعنف والإرهاب فلابد أن يكون خارجاً من عباءة الإخوان المسلمين»، يذهب رفعت السعيد إلى التطرف يأتي من ستة أبواب، والمضمر طبعاً أن «التطرف» يفضي إلى الإرهاب، وذلك على عكس تعريفه للتطرف في أول حديثه. هذه الأبواب الستة هي:

١ ـ إدعاء ملكية الإسلام.

٢ ـ الفهم النصي للقرآن والسنة (لعله يقصد الفهم «الحرفي»، لأن الفهم لابد أن يكون «نصياً»، أي نابعاً من النص، مادام القرآن والسنة نصوصاً). والدليل على أن رفعت السعيد يقصد الفهم «الحرفي» أنه يضع مقابلاً له «الفهم الاستردادي»، وأظنه يقصد فهم النص في سياقه التاريخي الاجتماعي، وليس خارج هذا السياق، وهذا الفهم «الذي يضع النص في إطاره الصحيح ويجعلنا قادرين على فهمه» بعبارة رفعت السعيد.

٣ ـ تسييس الدين أو تديين السياسة.

٤ ـ القول بوجوب حكومة إسلامية، أو خلافة في قول عادل حسين.

٥ ـ العبث بالوحدة الوطنية وبحقوق الأقباط

٦ ـ لم يمكن استنباط الباب السادس من النص المنشور الذي اعتمدنا عليه في هذا التحليل لكن رفعت السعيد في ذلك كله لا يفتأ يردد أن «الأصل» جليل ومفترض فيه كلية الصحة، والدين شيء جليل كلي الصحة، أي أنه لا يختلف مع عادل حسين حول «الأصول الإسلامية» التي ينبع منها الاجتهاد، وينبع منها من ثم التباين والاختلاف والتعددية.

وهذا كله يفضي بنا إلى أن الخلاف بين الخطابين يقع خارج دائرة «المنطوق» في خطابهما، ذلك أنه من تحليل المنطوق يتضح الاتفاق حول أهم نقطتين:

١ ـ أن الحركات والجماعات التي تدعى إسلامية انبثقت كلها من «الأصول الإسلامية» عند عادل حسين، ومن «خيمة واحدة ووعاء فكري واحد» عند رفعت السعيد.

٢ ـ أن الإسلام متمثلاً في نصوصه هو المرجعية الكلية التي لاخلاف حولها، لكن الاختلاف يأتي من «الفهم الحرفي» من جانب الجماعات، ووجود «الفهم الاستردادي» الذي يطرحه رفعت السعيد.

٣ ـ النتيجة الثالثة المتفق عليها كذلك، أن كل خطاب من الخطابين يتصور امتلاكه للإسلام، وقدرته على فهمه الصائب، أي امتلاكه للحقيقة التي لا يمتلكها خطاباً آخر.

ويبقى بعد ذلك نقطة الخلاف الأساسية حول «الإرهاب»، أو بالأحرى إدانة «الإرهاب» وهي القضية التي ركز عليها رفعت السعيد، فحولت المناظرة إلى ما يشبه العراك.

٣ ـ الخطاب على مستوى الأسلوب وبنية السرد

بدأ خطاب رفعت السعيد على غير المتوقع خطاباً يعتمد على مرجعية النصوص اعتماداً شبه كامل، سواء كانت تلك النصوص مشتقة من التحليل اللغوي المعجمي، أم كانت مشتقة من الحديث النبوي، أم من الأقوال والشهادات ـ التي حرص على إيرادها كاملة وبألفاظها ـ التي قالها أو كتبها بعض رموز الحركةالإسلامية، خاصة من جماعة الإخوان المسلمين. كان من الواضح أن رفعت السعيد يحاول أن يثبت أنه يتجنب الخطابة والوعظ وإلقاء الكلام على عواهنه، ملقياً كل تلك النواقص ـ بطريقة ضمنية لافتة ـ على حديث خصمه. لكن الأخطر من ذلك من منظورنا إن اعتماد

مرجعية القول المنسوب إلى النبي: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة... إلخ» لنقد تاريخ الخلافة الاجتماعي، أوقع خطاب رفعت السعيد في القراءة النصية - أو الحرفية - التي يعتبرها بابا من أبواب التطرف والإرهاب.

وثمة قراءة نقدية لهذا النص المستشهد به - وهو نص يمثل نبوءة بالمستقبل غير معهودة في خطاب الإسلام - تضعه في سياق الهجوم على الدولة الأموية وعلى معاوية ويزيد ابنه بالتحديد. وكان من المفترض أن المؤرخ الناقد رفعت السعيد يتجاوز القراءة النصية الحرفية إلى القراءة الاستردادية التي تضع النص في سياق ما أطلق عليه عام الجماعة (٤٠ هـ) وهو العام الذي تنازل فيه الحسن بن علي لمعاوية بن أبي سفيان عن الخلافة. وكان الخوارج ضد هذا «الإجماع»، لعلهم، أو لعل فرقة معارضة أخرى، هم الذين وضعوا هذا القول ونسبوه للنبي.

لكن القراءة النصية الحرفية مشروعة من منظور خطاب رفعت السعيد لأن بؤرة الخطاب هي العنف والإرهاب بوصفها ظاهرة ترتبط عضوياً - بجماعات «التأسلم» على حد تعبير رفعت السعيد. وهنا يقع الخطاب في قراءة حرفية أخرى حين يتجاهل وجود «العنف» ظاهرة عامة في الواقع المصري السياسي والاجتماعي واليومي، وإن كانت لها تجليات ومظاهر مختلفة، ويعلم الدكتور رفعت السعيد أن «العنف» ظاهرة أعمق من عنف الذين يرفعون لواء الإسلام. والتحليل الاجتماعي لخلفيات الشباب الذي يمارس هذا العنف يكشف عن نماذج من الجهل والإحباط والضياع التي لا تجد تفسيراً لها إلا في الواقع الاجتماعي؟ الذي يؤهل هذه النماذج لتكون وقوداً في صراع لا تعي هذه العناصر من الشباب أياً من مكوناته أو أسبابه أو دوافعه.

وبسبب هذه القراءة النصية الحرفية للنصوص وللواقع معاً اعتبر رفعت السعيد أن «إدانة الإرهاب» علامة تبرئة، وأن نقد نظام البشير في السودان أو نقد إرهاب الجماعات في الجزائر، يمكن أن يكون السبيل لفتح باب الحوار. في هذا الإصرار على انتزاع اعتراف بإدانة الإرهاب يتماثل خطاب رفعت السعيد مع خطابات تراثية عديدة ويستدعيها. فضرب على سبيل المثال إصرار الحجاج بن يوسف الثقفي على أن علامة ولاء القاضي أو

الفقيه أو العالم هي أن يسب علياً بن أبي طالب، وكذلك كان يفعل الخوارج الذين يمتحنون الناس ويعرضونهم على السيف كما أورد الدكتور رفعت السعيد نفسه. ويذكر الدكتور رفعت السعيد أن معيار الولاء لنظام السادات في السبعينيات كان الرأي في مظاهرات الخبز عام ١٩٧٧ «هل هي انتفاضة حرامية أم انتفاضة شعبية؟».

وليس خطاب عادل حسين من هذه الزاوية مختلفاً عن خطاب رفعت السعيد، وإن كان الأسلوب ـ ظاهرياً ـ مغايراً. اعتمد عادل حسين أسلوب التحليل السياسي محاولاً إخفاء أسلوب الخطاب الديني، لكنه كان يطغى بين الحين والآخر على أسلوب السرد السياسي. في عرضه السردي السياسي سبق أن أشرنا في الفقرة السابقة إلى أنه يتجاهل السياق التاريخي الاجتماعي لانبثاق الجماعات من التنظيم الأم. وهو كذلك في سرده السياسي لانبثاق «الصحوة» الإسلامية، يبدو على السطح محللاً سياسياً، لكن عمق الخطاب يكشف عن التأويل الديني للتاريخ. يجعل عادل حسين من انهيار الخلافة العثمانية «بداية لانهيار آمال كثيرة وتطلعات لاستعادة وحدة المسلمين».

وهذه النقطة التي يعتبرها عادل حسين نقطة البداية في انبثاق الصحوة الإسلامية تمثل وثبة تجاهل وقفزة في الهواء لإنكار مرحلة «الإصلاح الديني» التي تمثلت في صياغتها الناضجة في خطاب الإمام محمد عبده وتلاميذه. لكنها هي النقطة الصالحة لأيديولوجية الخطاب لتجعل البداية هي الدعوة للخلافة التي قام بها حسن البنا مكوناً جماعة الإخوان المسلمين. من هنا يفقد التحليل السياسي لعادل حسين مشروعيته، وينكشف عن تحليل ديني، يعتبر التاريخ هو تاريخ الإسلام السياسي الذي يمثل جماعة الإخوان انبثاقه الأول.

تظل مخايلة الخطاب السياسي مستمرة في تحليل عادل حسين حين يلجأ لمفاهيم «الأغلبية» و«الأقلية» حيث يرى أن «الأغلبية» كانت منبهرة بالغرب وبمحاكاته، وكانت فاقدة للأمل في **الأدوات القديمة**، وفاقدة الثقة **في قدرة الإسلام على التجدد بعد طول الجمود**. نلاحظ هنا أن «التجدد» و«الجمود» مصطلحات يلصقها عادل حسين بالإسلام وليس بالمسلمين،

وذلك لأنه يريد أن يرد تخلف المسلمين إلى شيء غير العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الفاعلة. كان هذا موقف «الأغلبية»، أما موقف «الأقلية» فكان السعي إلى محاولة استعادة الدولة الإسلامية ومحاولة النهوض من جديد تحت راية الإسلام في لا وعي الخطاب أن الخلافة «أدوات قديمة»، وفي لا وعيه أيضاً أن الدولة الإسلامية ماض، لكنه يمكن أن يستعاد. عند هذه النقطة يتحول خطاب عادل حسين من التحليل السياسي إلى الحديث بضمير الجماعة تماهياً مع تلك الأقلية التي كانت مرفوضة من الأغلبية. يقول «بعد مسيرة طويلة من الجهاد... مررنا بكثير من التجارب والابتلاءات.. بعد كل ما جرى وكل ما امتحنا به وبعد كل التجارب أصبح هناك ما نسميه اصطلاحاً (الصحوة الإسلامية)». ولكن كيف تحولت «الأقلية» السياسية صاحبة الدعوة إلى استعادة الراية الإسلامية إلى «أغلبية؟ وكيف صارت الدعوة التي لم يكن هناك مجال كبير للتمحيص في حقيقتها صحوة واضحة المعالم؟!

هنا يتخلى خطاب عادل حسين عن لغة التحليل السياسي ليدخل في لغة التحليل النفسي، حيث يرى أن الجيل الجديد يتحلى بالبراءة الأصلية التي حرمت منها الأجيال السابقة بسبب تربيتها، وكأن الأجيال الجديدة تعيش على «الفطرة»! يقول عادل حسين: «إن كثيرين من جيلي والذين يحيطون بهذا الجيل في السن من حيث أرادوا أو لم يريدوا كل أسير ما تربى عليه وما سار فيه. وهذا التاريخ الشخصي لكل منا يؤثر على سلوكه وعلى نظرته بدرجة أو أخرى، وفي كثير من الأحيان يصل هذا التأثير إلى حد أنه يأبى أن يعترف بالحقائق لأنها تتنامى مع ما ألف طول عمره على اعتباره باطلاً. والأجيال الجديدة بحمد ا لله متحررة من هذه التحيزات أخذت التجربة من آخرها، استفادت مما فعلته الأجيال السابقة، استفادت بهذه الخطوة إضافة إلى ما تعلمته بذاتها، ووصلنا إلى أن الأجيال الشابة في كل أمتنا العربية والإسلامية ترى بأغلبية ساحقة أن الإسلام هو أساس النهضة».

هذا التمييز إلى حد الفصل الكامل بين الأجيال على أساس من «عدم البراءة» و«البراءة» تمييز هام في بنية خطاب عادل حسين الذي بدأ

بالإشارة إلى تجربته الشخصية في التحول من فكر إلى فكر. يكاد الخطاب هنا يقول إن عادل حسين هو من القلائل النادرين الذين استطاعوا التخلي عن تحيزاتهم التي فرضتها عليهم التربية والتاريخ الشخصي ليسلموا بالحقائق. وهذا التمييز يعد ـ من جهة أخرى ـ بمثابة رسالة للمخاطب الأول رفعت السعيد وأمثاله بالتخلي عن قناعاتهم، لأنهم محبوسون لأجلها. لكن السؤال الحقيقي: هل ثمة براءة أصلية بالفعل في الأجيال الجديدة هي التي أدت إلى ظاهرة الصحوة؟ وهل صحيح أن الأجيال في كل ـ أكرر كل ـ الأمة العربية والإسلامية كانت بهذه البراءة؟

تلك بعض الأسئلة التي يمكن أن تكشف بعض جوانب المضمر بل والمكبوت في خطاب عادل حسين. لكنه كما اعتمد على ثنائية «الأغلبية/ الأقلية» و«البراءة/ عدم البراءة» يكرر نفس الثنائية من زاوية أخرى تضع «الإسلام» في مواجهة «الحضارة الغربية» السائدة «المادية العلمانية»، والتي تعاني حقيقة من أزمات طاحنة تسبب مآسي خطيرة لكافة المجتمعات البشرية.

و«الإسلام» يملك من «القيم» ويملك من «الرسالة» ما يمكن أن يحل كثيراً من مشاكل البشر «لو استطعنا أن ننهض وأن نقيم هذه الأمة على أساس اقتصادي وعسكري وسياسي متين».

لكن هذا الشرط، الذي هو النهضة على أساس اقتصادي وعسكري وسياسي، هل يمكن تحقيقه في كل هذا «الانفصام» الذي صاغه بين «الإسلام» و«الحضارة المادية العلمانية»؟ وهل هناك بالفعل حضارة غربية ذات طابع مطلق لا زماني لا تاريخي، أم أن ما يسمى باسم الحضارة الغربية ليس إلا ثمرة سيرورة تاريخية ثقافية حضارية إنسانية متراكمة تشع الآن في هذا الغرب؟ تلك كلها أسئلة لا مجال لها في خطاب «ثنائي البنية» سواء توسل بلغة التحليل السياسي أم بلغة التحليل النفسي، أم بلغة الوعظ الديني، وتلك هي اللغة الوعظية الإنشائية التي يختتم بها عادل حسين حديثه في النقاط التالية:

١ ـ الصحوة الإسلامية مدٌّ عارم هو المحرك للحيوية الاجتماعية والسياسية.

٢ ـ الأمة من منظور الحركة الإسلامية في أزهى عصورها، لكن المعزولين عن «نور ا لله» يشعرون أنهم معزولون فيتهمون الشباب بالسلبية.

٣ ـ أنتم (المخاطبون هنا من لا يوافقون على شعار «الإسلام هو الحل») الذين لا تعبرون عن طموحات الجماهير.

٤ ـ يجب على المثقف الجاد من غير الإسلاميين ألا يتعالى على هذه **الحركة التاريخية الجبارة**، فلم يعد مقبولاً أن يقف المثقفون موقفاً متعالياً في حين أن الجماهير لها خيار واضح.

ولا تختلف لغة الوعظ الديني هنا في خطاب عادل حسين عن لغة الماركسي الداعية رغم اختلاف المفردات..ونلاحظ هنا أن خطاب عادل حسين يدمج مفردات الوعظ كلها في بنية واحدة، سواء كان وعظاً دينياً أن وعظاً ماركسياً. فالذين يتهمون الشباب بالسلبية هم «المعزلون عن نور ا لله» (وعظ ديني) أنتم لا تعبرون عن طموحات الجماهير (وعظ ماركسي) وكذلك تنتمي مفردات «الحركة التاريخية» «وتعالى المثقف» إلى مجال الوعظ الماركسي الموظف هنا توظيفاً دينياً.

وختام المسك في خطاب عادل حسين الاستشهاد بالصهاينة المتعصبين لدينهم ومطالبته المسلم أن يكون مثلهم، ثم دعوة الأقباط للمشاركة في «الحل الإسلامي» أن غالبيتنا تؤمن بالإسلام كدين... والإسلام وإن كان دين الغالبية فهو التاريخ المشترك للكل.. نحن أمام إرث حضاري مشترك حتى لو اختلف الدين وهنا يتجاهل عادل حسين أن للاخوة المسيحيين تاريخاً سابقاً على تاريخهم المشترك مع المسلمين، كما يتجاهل أن هذا التاريخ جزء من تاريخ «الوطن»، وهو البعد الغائب تماماً في خطاب عادل حسين داخل مفاهيم فضفاضة مثل الأمة والتاريخ والنهضة.

٤ ـ الخطابان يسكن كل منهما الآخر:

لاحظنا من التحليل السابق أن كل خطاب من الخطابين حاول أن يميز نفسه عن الآخر تميزاً حاداً، سواء على مستوى المنطوق أو على مستوى الفحوى والمفهوم. لكنا كشفنا أن في بنية الخطابين من «الاتفاق»

الكثير ، لكنه الاتفاق الذي يسلم به كلاهما على مستوى المناظرة والمواجهة - الدليل على ذلك أن جريدة الأهالي (أول مارس ١٩٩٥) حين نشرت نص الحوار أسمته «المواجهة» لأن الجريدة تريد أن تبرز تمايز الخطابين من الوجهة الحزبية. ونشرت في الصفحة الأولى مانشيتاً يبرز قولاً لعادل حسين وآخر لرفعت السعيد على النحو التالي:

عادل حسين: الشيوعيون مثل الإخوان المسلمين كانوا جميعاً دعاة عنف في الأربعينيات.

رفعت السعيد: الشيوعيون الآن يدينون الإرهاب، ودلوني على إخواني واحد أدان جرائم القتل.

هنا - أي من خلال عملية الإبراز المتمثلة في مانشيت الصحفة الأولى - نجد أن آلية التمييز واضحة بين الخطابين: الشيوعيون والإخوان المسلمون من جهة، وإدانة الإرهاب والصمت في مواجهته من جهة أخرى. فإذا تجاوزنا الصفحة الأولى إلى نص المواجهة في الصفحتين السادسة والسابعة، نلاحظ حرص الجريدة على «إبراز» بعض أقوال عادل حسين (الذي يشار إليه هنا باسم أمين حزب العمل أي بالتركيز على الصفة الحزبية) وما يرد إليه وينقضها من أقوال رفعت السعيد (الذي يشار إليه كذلك بصفته الحزبية: أمين التجمع).

ويتم هذا الإبراز على شكل «مواجهة» القول بنقيضه في الصورة الشكلية الدالة التالية :

أمين العمل:

١ - التعددية فريضة إسلامية أومن بها داخل الحلف الإسلامي.

٢ - حزب العمل فصيل إسلامي خرج من عباءة الإسلام لا من عباءة الإخوان.

٣ - نحن الظاهرة المعاصرة للصحوة الإسلامية ذات الأبعاد الدولية.

٤ - التاريخ الإسلامي شهد كثيراً من المآسي علينا أن نستخلص منها العبر ونتجاوزها.

أمين التجمع

١ ـ شعارات حزب العمل عن الديمقراطية لاتتسق مع تمجيده لنظام البشير.

٢ ـ الوعاء الفكري للتيار الإسلامي واحد وجميعهم ينادي بالخلافة والحكومة الدينية.

٣ ـ هل نسمي المذابح بين المسلمين في أفغانستان صحوة إسلامية؟

٤ ـ جريدة «الشعب» وصفت الإرهاب في حادث «زينهم» بالشهداء الأبطال الأبرار.

باستثناء المواجهة رقم ٢، والتي كشفنا أنها تمثل في الحقيقة نقطة اتفاق لا اختلاف، حرصت الجريدة على إبراز، «التمايز» الذي يبرر «المواجهة»، وبذلك كشفت الجريدة عن آليات «التوضيب» ـ عن «الظاهر» في منطوق كل خطاب. لكن هذا «الظاهر» ذاته على مستوى المنطق يكشف القناع عن الطبيعة السياسية ـ لا الفكرية ـ الحزبية للمواجهة. وفي إطار المواجهة الحزبية، في ظل انتخابات قادمة، لا يتحقق حوار، بقدر ما يكون الأمر «مواجهة» في سياق دعائي حزبي.

هذا السياق يكشف لنا عن البعد الباطن في بنية كل خطاب، وهو البعد المتمثل في كون كل خطاب مسكون بما يتصور أنه نقيضه. لذلك جاء عادل حسين ومدخله الأساسي إبراز «التعددية» وذلك دون أن يتنازل عن «الوفاق الإسلامي». أما رفعت السعيد فكان خطابه مسكوناً بهاجس «فقه النصوص» وإثبات العلاقة بها والقدرة على فهمها، بل ومنازلة الخصم على أرضها. وفي سياق التحدي الذي أعلنه عادل حسين في نهاية خطابه كان رد التحدي بتحدٍ مثله «أعلنوا إدانة الإرهاب».

لكن في إبراز خطاب عادل حسين للتعددية تم تغييب «الديمقراطية»، وفي تركيز رفعت السعيد على «إدانة الإرهاب» تم تغييب البعد الاقتصادي الاجتماعي للظاهرة. كان كل واحد من الخطابين يريد أن يصرع الآخر بالضربة القاضية إن أمكن، لكن الذي غاب في سخونة المباراة أكثر من

الديمقراطية وأعمق من التحليل الاقتصادي الاجتماعي السياسي لظاهرة «الإرهاب» والعنف: ضاع سؤال «الهوية» الذي يحصره خطاب عادل حسين في «الإسلام» ديناً وتاريخاً وثقافة، كأن إنسان المنطقة والوطن كان بلا تاريخ ولا وعي ولا ثقافة أو حضارة قبل الإسلام. ومع ضياع سؤال الهوية شكل «المرجعية الشاملة» للنصوص الدينية، وهي المرجعية التي تؤسس قيام مفهوم الدولة الدينية وما يلحق بها من مفهوم الخلافة. وإذ يضيع السؤالان الجوهريان عن الهوية ومجال فعالية النصوص الدينية يتم تغييب «التاريخ»، وحيث يغيب التاريخ ينطمس الواقع تحت وطأة، الأولويات الحزبية والسياسية.

ولا تفسير لهذا الغياب ــ أو بالأحرى التغييب ــ إلا بغياب الأبعاد المعرفية في كلا الخطابين وذلك لحساب حضور الابعاد السياسية المباشرة، وهي الأبعاد التي تجعل كل خطاب مسكون بهواجس الآخر عنه، فتجعل الناتج نوعاً من «المساجلة» مع هذا الهاجس المستكن والرابض والقاتل أحياناً كثيرة للخطاب وهو في مرحلة «الإنشاء». وكان مدخل «التعددية» الذي طرحه عادل حسين ممكن أن يمثل نقطة بدء صالحة للحوار، لو كان هناك اتفاق على تحديد «الموضوع» أولاً.

وليس في كل ما نقول تقليلاً من شأن الأبعاد السياسية في أي حوار، وليس فيه أي محاولة لاستبعاد قيام حوار حول كثير من مشكلات حياتنا السياسية. لكن ثمة فارقاً بين الحوار حول مشكلاتنا السياسية من منظور معرفي علمي وبين التخلي عن المعرفي بسبب غلبة الأهداف السياسية النفعية المباشرة وأظن أن ما قمنا بتحليله هنا كان مواجهة سياسية أو مناظرة سياسية في سياق دعائي أكثر منه حواراً. وكان انقسام الجمهور خير شاهد على ذلك، كما كانت تعليقات المعلقين من الطرفين شاهداً آخر على أن ما حدث كان مساجلة سياسية أشبه بمباريات كرة القدم.

خليل عبد الكريم

حاشية أحادية الجانب:

هؤلاء الإسلاماركسيون وفحاتهم المنكرة

(١)

روجيه (فيما بعد رجاء) جارودي، د/ محمد عمارة، أ. محمد جلال كشك، د. مصطفى محمود[١]، أ. عادل حسين، ماركسيون عتاة نأوا بجانبهم عن الماركسية وولوا وجوههم شطر الإسلام.

ونحن ـ المسلمين ـ مأمورون بأن نرحب بمن يدخل ديننا ويهاجر إليه، ونقول له ربح البيع كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصهيب بن سنان الرومي عندما وصل إلى المدينة «يثرب» مهاجراً: ربح البيع يا أبا يحيى[٢]، وأن نحسن الظن به وألا نشق عن قلبه ولا نفتش في صدره لنعرف البواعث التي دفعته إلى الانضواء إليه، ونصدقه تماماً عندما نسمعه يصرح أن الذي حضه على ذلك عظمة الإسلام وسموه والنظرية المتكاملة التي جاء بها والتي تفسر الحياة وتحل لغز الموت أو على الأقل تقدم عزاءً مريحاً للنفس ومطمئناً للقلب إزاء مصيبته، وهي النظرية التي لم تسبقه إليها فلسفة من الفلسفات، ولن تلحقه وأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان وستظل هكذا حتى يرث الله الأرض وما عليها، وأن الماركسية أخطأت في كل نبوءاتها وأن مبادءها مضادة للفطرة وأنها تقضي على روح الإبداع والابتكار لدى الفرد وتحوله إلى رقم ضمن المجموع (وأنها كلمة مفرغة من المحتوى يستعملها جميع الفرقاء لجميع المعاني المتناقضة وأصبحت تدل على الشيء ونقيضه وعلامة اختلاف لا اتفاق فيه أبداً، وأينما دخلت في أي بلد دخل وراءها الدم والرصاص)[٣]، وأن الذي جذبه إلى الإسلام (بساطته ونقاؤه وأنه افتتح آياته بالعلم)[٤]، وأنه (ظاهرة فوقية

عن البيئة)[٥]،وإنه (جاء مقرراً المساواة في الفرص وحق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادي بين الفرد والمجتمع وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر والموجه)[٦]،هكذا!!!.

وأنه (لا يتملق الكثرة... ولا يداهن الأغلبية بل يذمها لأنها على جهل)[٧]،(فالأغلبية هي الغوغاء ولا يتملق الغوغاء إلا الغوغائيون وأهل المذاهب الغوغائية)[٨]. نصدقه في كل هذا ونسأل الله أن يفتح عليه فتوح العارفين وأن يزيد بصيرته نوراً ليدرك مزيداً من شواهد عظمة الإسلام.

(٢)

إنما هناك نقاط موضوعية من العسير تخطيها أو تجاوزها أو غض الطرف عنها منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ إن الفترة التي هرول فيها هؤلاء وولجوا بوابة الإسلام الذهبية تزامنت مع ما عرف به (الحقبة النفطية) وازدهار وتألق (البترودولار) وصيرورته صاحب بريق يخطف البصر ويزغلل العين، ويدير رأس السهف[١٠]،من الرجال ويفقده توازنه وينسيه الشفع والوتر.

ومن الصعب: تصديق مقولة إن خلع هؤلاء لبسة الماركسية وارتداء عباءة الإسلام في تلك الفترة كان مجرد مصادفة عمياء.

ب ـ أنهم بعد أن أسلموا وتحمسوا للإسلام وأصبحوا من سدنته وأشد دعاته حماسة وغيره وفي طليعة دهاقنته ومرازبته... تحولوا من طبقة مساتير الناس[١١]، بتعبير شيخنا الجبرتي إلى طبقة البرجوازية الكبيرة التي تعيش في بحبوحة وبُلهنية[١٢] بعد أن صبت عليهم الدنيا صباً والذي صبها عليهم هم أولئك الذين فرحوا بمفارقتهم الماركسية أكثر من دخولهم الإسلام كما يقول المثل الدارج (لا حباً في عليّ ولكن كراهية في معاوية). ولكي تتحول فعلتهم من ظاهرة محدودة أو شديدة المحدودية إلى حركة واسعة وهجرة جماعية، واشتركت هيئات كثيرة في احتضانهم والإغداق عليهم، بل وإغراقهم في حنايا النعيم، منها ما كان دافعه ايديولوجي ومنها ما كان دافعه سياسي ومنها ما كان دافعه دين،ي إذا اعتبرهم

أصحاب الدافع الأخير من المؤلفة قلوبهم الذين تجوز فيهم الصدقة طبقا لنص الآية (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم)[١٣]. وفي الحديث النبوي (... إني أُعطي رجالا حدثاء عهد بكفر أتألفهم)[١٤]، وفي نظر المتصدقين إن اعتناق الماركسية كفر، يُعد تاركها إلى الإسلام مستحقاً لهذا النوع من مصارف الزكاة المعروفة. ومما يستدعي الانتباه إن كل هذه الإغراءات والإغراقات في محيط البترو دولار لم تنجح في تحويل تلك الظاهرة المحدودة إلى حركة واسعة أو هجرة جماعية وهذه مسألة تحتاج إلى دراسة معمقة تخرج عن مسار بحثنا.

لكن الذي لا شك فيه أنه ليس من قبيل الصدفة أيضاً أن هؤلاء أو بعضهم ما كان يجد اللظى[١٥] ـ أصبحوا من الأثرياء الأماثل فور تسربلهم بالإسلام.

(٣)

يؤكد علم النفس (أن أسلوب الشخص وطرقه مع الآخرين لا تمليها في كثير من الأحيان خصائصه الشخصية بقدر ما تمليها توقعاته عن الدور الذي يقوم به وتوقعات الآخرين عن هذا الدور أيضاً)[١٦]، وانطلاقاً من هذه القاعدة النفسية أخذ الإخوة الإسلاماركسيون يحرصون على تقديم أدلة الثبوت على إسلاميتهم وشواهد نفي ماركسيتهم وطلاقهم إياهم طلاقاً بائناً بينونة كبرى، ولكي يؤكدوا للمانحين أنهم جديرون بالمنح والعطايا التي سحوها عليها سحاً[١٧].

فماذا فعلوا؟

جـ ـ شمروا عن سواعدهم وشرعوا في نشع[١٨] كتابات إسلامية. ولأن الثقافة إسلامية لا تتأتى لصاحبها إلا بعد دراسة معمقة ومعاناة شديدة ومعايشة طويلة وكان الإخوة الإسلاماركسيون في عجلة من أمرهم حتى لا يغيض بحر النعم أو يجف نهر السخ[١٩] فقد جاءت منشعاتهم[٢٠] تثير الرثاء من جانب والسخرية من جانب آخر، ولما قرأها الناس أشفق عليهم البعض وسخر منهم البعض الآخر ولكن الفريقين، معا قالا: ليتهم سكتوا.

وكان المسلمون والإسلاميون هم الأشد سخطاً عليهم وغمزوهم في دينهم بل اتهموهم بأنهم دسيسة دخلوا الإسلام حتى يخربوه من الداخل وأن الماركسية ما زالت تجري مع دمائهم في عروقهم وتعشش في أدمغتهم وتهيمن على وجدانهم وتسيطر على عقولهم وأنها سممت تفكيرهم ولا فائدة فيهم أو منهم ـ قالوا هذا وأكثر ولكنهم أبداً لم يغلوا أيديهم عنهم وذلك ولكيلا ينكصوا على أعقابهم ويعودوا أدراجهم ويرجعوا إلى حيث ارتحلوا وهنا تقع الواقعة وتكون فضيحة مدوية.

وإذ أن المجال لا يتسع لذكر أمثلة كثيرة لكتابات الإسلاماركسيين النكراء التي جاءت ثمرة مرة لعجلتهم وتسرعهم فإننا نكتفي بالقليل المقنع.

(٤)

(١) دخل روجيه جارودي الإسلام وفرح به الإسلاميون فرحاً شديداً وأتحفوه بـ«جائزة ملكية» كبرى[٢١] أو شطرها مع إن الإسلام ذاته يأمرهم بالتثبت والتأني ومبعث سرورهم أن الرجل كان ماركسياً قيادياً[٢٢] كما كان معدوداً من مفكري فرنسا البارزين، ومن ثم فقد عدوا مباينته للماركسية قاصمة الظهر لها ودخوله الإسلام فتحاً مبيناً ونصراً مؤزراً له.

ثم أسقط في أيديهم وأصيبوا بخيبة أمل فادحة إذ تبين لهم أن هذا الجارودي فهمه للإسلام كفهم رجل صيني للغة الهيروغليفية وغاظتهم طروحاته وأثارت ثائرتهم ولم يجدوا مناصاً من اتهامه بـ(عدم إدراكه التام لحقائق الإسلام أو تشويشها في ذهنه وأن كثيراً مما قرأه أو اعتقده قبل إسلامه ما زال يسيطر عليه)[٢٣] وأنه (ينتزع من الإسلام قدرته على معالجة مشكلات العالم المعاصر وأنه ليس في استطاعته أن يجد في ماضيه الحلول للمشكلات المعاصرة سياسية أو اقتصادية أو دستورية أو اجتماعية)[٢٤]. وعن موقف جارودي من رأس المال يقول المؤلف (ولعل الذي أوقع رجاء جارودي في هذه الحملة الظالمة على المال والغنى والأغنياء ما ترسب في ذهنه من آثار الشيوعية....)[٢٥].

ولجارودي موقف صارم إزاء أحكام المواريث والحدود موجزه أنها كانت متوافقة مع مجتمع معين وبيئة بذاتها وأنه يتعين إعادة النظر فيها وإذ أن د. ظلام يمثل وجهة النظر الإسلامية التقليدية أو الكلاسيكية التي تسيطر عليها الدوجما أو التصلب الفكري فقد رفض موقف جارودي (والأعجب والأدهى في نفس الوقت أن يقول عن الأحكام المتعلقة بالعقوبات والميراث التي وردت في الكتاب والسنة: إن هذه يجب أن تؤخذ في سياقها التاريخي على أنها أمثلة تاريخية لتطبيق القيم الإسلامية في مجتمع ذي ظروف مشروطة وتتغير هذه الأحكام بتغير شروطها استناداً إلى القيم الخلقية الثابتة)[٢٦]. ويضيف الباحث د. ظلام أن جارودي (يرى أنه لا تعارض بين المنهجين الاقتصادي والاجتماعي للماركسية والإسلام. مجلة المصور ١٥ أغسطس ١٩٨٦ص ٢٦)[٢٧]. وقد أثارت هذه العبارة المؤلف ووصفها بأنها (الأنكى والأغرب)[٢٨] لأن أي مقارنة بين الإسلام والماركسية حتى في مجال المنهجين الاقتصادي والاجتماعي تثير ثائرة الإسلامويين وتفزعهم وتصيبهم بالعصاب والتشنج ويغلقوا آذانهم عن سماع شواهد هذا التقارب وأنه لا يمس القصيدة لا من قريب ولا من بعيد وينفرون مِنْ مَنْ يقول به كما ينفرون ممن قال كلمة الكفر، ودوافعهم ولا شك في الرفض والنفور أيديولوجية وسياسية وليست دينية.

ثم ينتهي د. ظلام إلى اتهام جاردوي علانية وبصراحة بالغة بأنه إذ يدعو إلى خلخلة الثقة بالماضي إنما يدعو إلى (خلع الثقة به ثم يسهل بعد ذلك فقدان الهوية الإسلامية)[٢٩].

ليس بعد تهمة العمل على إفراغ الإسلام من هويته تهمة، كما أنه ليس بعد الكفر ذنب.

(٢) أما د. محمد عمارة فقد قمنا بدراسة حالته باختصار تركيز في ثلاث مقالات نشرتها لنا جريدة «الأهالي» في ١١و١٨و٢٥ يناير ١٩٩٥.

ولا نرى موجباً لتكرار ما جاء فيها ولن يريد... فعليه الرجوع إليها.

(٣) أ. محمد جلال كشك ـ رحمـة الله تعـالى ــ كـان أكـثرهم إنتاجـاً ولعله بذلك كان يريد أن يدلل علـى صدق إسـلاميته ومـن الصعـب تتبـع مصنفاتـه في هـذا المجـال، ولكننـا نكتفـي بواحـد منهـــا يقطـع بصحـة الفرضية التي طرحناها وأن صمت الإسلاماركسيين كـان أجـدر بهـم وأن اقتحامهم مجال «الإسلاميات» دون الاستعداد له والتسلح بأدواته كان وبالاً عليهم وعلى الإسـلام فقـد رأينـا كيـف أن هـذا الجـارودي يطلـب تجـاوز أحكام الحدود والمواريث وإذا بـ جلال كشـك يطلـع علينـا بمـا هـو أنكـى وأفظع لإنه يتعلق بمكان يحلم به المسلمون وخاصـة مـن عاشـوا في حرمـان وفقر ومسغبة وينتظرون أن يجدوا فيه من الملذات والشـهوات والأفـراح مـا لاعين رأت ولا خطر على قلـب بشـر تعويضـاً لهـم عـن كـل مـا لاقـوه في الحياة الدنيا ـ فـإذا بالإسلاماركسـي جـلال كشـك يخـرج بتفسـير يحـول الجنة ـ شوق المحرومين الخالد ـ إلى مباءة أخلاقية وسلوكية والعياذ بـالله تعالى.

أخرج كتاباً يحمل عنوان (خواطر مسلم في المسألة الجنسية) ومن أسـف أن لجنة من الأزهر أجازته، ذكر فيه أنه ليـس ثمـة مـا يمنـع مـن القـول بإباحـة اللـواط في اللجنـة للمؤمنـين مـع الغلمـان الطـائفين عليهـم والذيـن وصفهم القرآن كأنهم لؤلؤ مكنون (ويطرف عليهـم غلمـان لهـم كـأنهم لؤلـؤ مكنون)[٣٠] وكيف كان ذلك يا مولانا وما علته؟.

فيجيب: جزاءً لهم على ضبط أنفسهم وتحريمهم عليها ممارسة اللـواط في الدنيا وقياساً على ذلك فإن الذين امتنعوا من تدخين الحشيش وتعـاطي الأفيون وشم البودرة ـ في الدنيا ـ يغدو من حقهم ارتكاب كل تلك الموبقات في الجنة!!!.

ولك أن تتخيـل أن المتقين والصـالحين والذيـن وعدهـم ربهـم بدخـول الجنة والخلود فيها سيتحولون أو شـطر منهـم إلى مجموعـة، مـن اللوطيـة والحشاشين والشمامين والأفيونجية.....!!!.

وهذا كله نتيجة محتومة كان لابد من وقوعها لاقتحام الإسلاماركسيين ميدان العلوم الإسلامية دون أن يكونوا مؤهلين له.

(٥)

ونأتي إلى د. مصطفى محمود:

قفز قفزة شروداً[٣١] من الإلحاد[٣٢] إلى تفسير القرآن. لقد كان الأخ في عجلة من أمره، وإنه يهرول بل ويجري حتى تتقطع أنفاسه ليثبت أنه خلع رداء الإلحاد[٣٣]. ولم يجد دليل ثبوت أقوى من تفسير القرآن. ففي شهر مايو ١٩٧٠ أصدرت دار الشروق كتاباً له يحمل عنوان (القرآن محاولة لفهم عصري)[٣٤]. وكان في الأصل مجموعة مقالات نشرتها له مجلة «صباح الخير».

وانطبق عليه المثل الشعبي (أول ما شطح[٣٥] نطح). لأن تفسير القرآن يحتاج إلى قدم راسخ في اللغة العربية ثم في العلوم الإسلامية عامة وعلوم القرآن خاصة ونؤكد أن د. مصطفى محمود لم يكن آنذاك قد سمع بتلك العلوم مجرد سماع.

ومن البديهي أن تثير عليه المحاولة الهوجاء ثائرة الكثيرين في مقدمتهم د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء).

وسأل الشيخ محمود محمد طه ـ طيب ا لله ثراه ـ مستنكراً: كيف يُقْدِم د. مصطفى، على (إصدار كتاب يتحدث فيه عن أدق أصول الدين بغير علم)؟[٣٦]. ووصف الكتاب بأنه كان (شططاً في طرف التفريط، وشططاً في طرف الإفراط... وقولاً في أدق أمور الدين بغير علم وإنما هي الخواطر الفجة تسجل تسجيلاً وترسل إرسالاً)[٣٧]. وتعقب ــ نور ا لله ضريحه ــ طَحَّات[٣٨] د. مصطفى النزقة الطائشة وأقواله العامية اللغا[٣٩]. مثل (التحريم في القرآن ليس لمجرد التحريم ولا التحليل لمجرد التحليل، وإنما تحليل لكل ما هو طيب وتحريم لكل ما هو خبيث) وهو تحصيل حاصل ويذكر من يقرأه بالمثل الشائع (وفسر الماء بعد الجهد بالماء) لإن من البديهي أن ا لله لا يحل الخبائث وبالمقابل لا يحرم الطيبات. وطلب الشيخ محمود من الطبيب سابق الإلحاد مصطفى محمود أن يصرف نظره

في نطاق التحريم عن ألفاظ لا تليق بقدسية القرآن مثل (الميني جيب والديكولتيه والجابونيز والبروكات الذهب) الذي تناولها بفهمه الينكوب[٤٠]، في مجال التحريم والتحليل وهمس في أذنه (لابد من العودة إلى جوهر التحريم لفهم الآية)[٤١]، كأنه يقول له: إن تلك الألفاظ الشفشافة[٤٢] لا يستحل مؤمن صادق الإيمان أن يوردها في معرض تفسيره لكتاب الله العزيز حتى ولو تحت راية (العصرية) ولكن من المؤكد أن الطبيب المفسر أو المفسر الطبيب لم يتخلص من رواسب الإلحاد التي تجذرت في أعماق نفسه لأعوام طوال فأراد أن يستهزئ بالقرآن بطريقة ملتوية ولكنها مفضوحة.

واستنكر الشيخ محمود ــ قدس الله سره ــ أن يُقدم الطبيب سابق الإلحاد على تفسير كتاب الله وهو لا يعرف الفرق بين الحلال والمكروه، ولو أنه فتح أبسط كتاب في الفقه أو في أصوله لاستبان له ذلك (وأنت تقول: لذا جعل الطلاق مكروهاً ولكنه ممكن إذا استحالت الحياة... هذا قولك في صفحة ١٢٣ وهو قول يحتاج إلى ضبط في العبارة... ذلك أن الطلاق حلال ولكنه أبغض الحلال إلى الله)[٤٣].

ولا يتسع المجال لسرد كافة المزالق التي تردى فيها الطبيب والمآخذ التي أمسكها عليه الشيخ محمود ـ عطر الله مرقده ـ وهو يقرر في خاتمة كتابه (أنه لم يتحامل عليه «الطبيب مصطفى» حتى العبارات التي يشم منها رائحة العنف فهو لا يعتذر عنها)[٤٤] ذلك كان يستحقها وأكثر منها لأنه نزل إلى مضمار لم يكن مؤهلاً للسباق فيه.

* * *

أما الكاتب المفكر د. عاطف أحمد وهو طبيب مثل د. مصطفى محمود فقد تناول الكتاب من الزاوية العلمية وأبان عوارة فيها، وأنه حتى من هذا الجانب فهو خال من أي قيمة علمية والمقصود هنا «العلمية التجريبية» وإذ أن هذا الشق يندّ عن موضوع بحثنا هذا فإننا نكتفي بفقرة فيها الغناء والإقناع من كتاب د. عاطف، القيم العميق الذي يستحق القراءة المتأنية وعنوانه (نقد الفهم العصري للقرآن).

يقول المؤلف ليس صحيحاً ما يذهب إليه مصطفى محمود من أن القرآن يشير إلى المسائل العلمية بأسلوب الإشارة والرمز والمجاز والاستعارة واللمحة الخاطفة والعبارة التي تومض في العقل كبرق خاطف وأنه يلقي بكلمة قد يفوت فهمها على معاصريه لأنه في التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمة ويثبتها تفصيلاً، إذ ما حاجة القرآن إلى الرمز والمجاز والاستعارة واللمحة الخاطفة في مسائل هي بحكم طبيعتها لا تقبل الرمز ولا المجاز ولا اللمحة الخاطفة؟.

(إن الحديث في مسألة علمية لا يكون إلا بلغة العلم)[٤٥].

وهكذا يثبت أنه بجانب نضوب معين د. مصطفى محمود من الثقافة الإسلامية فإنه كان يمخرق ويشعبذ في الشق العلمي التجريبي الذي حاول إلصاقه بـ «القرآن».

(٦)

وأخيراً نصل إلى أ. عادل حسين فهو حالة قائمة بذاتها:

فهو علاوة على أنه أقصر الإسلاماركسيين باعاً في معرفة العلوم الإسلامية ومحصوله منها مهزول ورصيده منها معدوم أو شبه معدوم، فإنه حاول استخدام الإسلام أو بمعنى أدق شارة الإسلام التي وضعها على صدره لتحقيق طموحاته السياسية وتطلعاته الشخصية التي عجز عن الوصول إليها وقت أن كان ماركسياً لأنه كان في الصفوف الأخيرة منها وكانت فيها قامات عملاقة حجبت قامته القصيرة ورمته في الظل.

ينتابني الأسى عندما أقرأ مقالاته التي ينشرها في جريدة الشعب والتي يحاول جاهداً إضفاء صبغة إسلامية عليها على طريقة «القص واللزق» فيأتي في ختامها بآية قرآنية متوهماً بذلك أنها احتازت السمة الإسلامية، ووجه الأسى أن هذا العمل الغرير يظهر كأن فتاة لبست «هوت بيكيني» ووضعت على رأسها غطاء الرأس «المشهور بطريق الخطأ بـ الحجاب» لتثبت للإسلاميين أنها غدت منهم.

ويذكرني هذا الصنيع بواقعة طريفة قصها الكاتب الصحفي الساخر الصديق أ. صلاح عيسى[٤٦]: في أيام عبد الناصر كان يعمل في جريدة الجمهورية[٤٧]. فكان رئيس تحريرها يكتب افتتاحية العدد الأسبوعي (الخميس) ويرسله إلى أ. صلاح ويرفع سماعة التليفون ويقول له: «لو سمحت يا صلاح رُش عَ المقال شوية ططش اشتراكي» وبالمثل يتوهم أ. عادل حين أنه بالآية التي يلحقها في مختتم مقالته أنه أعطاها نكهة إسلامية بعد أن رشّ[٤٨]، عليها «ططش إسلامي» ويزداد الأسى ويتضاعف بأن سنحت الفرصة لـ أ. عادل حسين بتوليه رئاسة تحرير الشعب ليحقق طموحاته السوابق التي أخفق في تحقيقها أيام الماركسية وليثبت لكل من يهمه الأمر أنه أصبح إسلامياً مكنياً فأخذ يزايد مزايدة رعناء على الإرهاب والإرهابيين ويقف بجانبهم ويناصرهم بالباطل ويؤيدهم في كل ما يفعلونه حتى ولو قتلوا الأبرياء والغافلين والأطفال ويبرر لهم كل ما يفعلونه بدون استثناء ولم يحدث ولو لمرة واحدة أن انتقدهم في أي فعل ارتكبوه وهو بذلك رفعهم فوق مصاف الأنبياء لأن الله جل جلاله عاتب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما انصرف عن ابن أم مكتوم إلى صناديد قريش وعندما قبل الغداء في أسارى بدر... الخ.

فكيف يكون الإرهابيون على حق دائماً ولم يخطئوا مرة واحدة إلا إذا كان ذلك من قبيل المزايدة الرخيصة!!!.

ولا يدري أ. عادل حسين إن «الجماعات» التي يُجّمشها[٤٩] بعباطة[٥٠]، تعرفه وتعرف الحزب الذي ينتمي إليه حق المعرفة ولاتجوز[٥١] عليها مقالاته التي يحرص على أن ينهيها بـ«ططش» إسلامي:

... يظل (= حزب العمل) جمعه الغريب بين الناصرية والإسلام وتبنيه للمواقف المختلفة دون أساس شرعي واضح يثير علامات استفهام كثيرة؟.

ويظل ترشيحه لبهجة ميخائيل الراهب تلميذ الأنبا شنودة وتعيينه لجمال أسعد مساعداً لأمين اللجنة التنفيذية للحزب ومرشحاً على الدوام على رأس قوائمه يضاعف من علامات الاستفهام.

هل يستغل حزب العمل الدين لتملق مشاعر الجماهير وتحقيق تقدم في اللعبة الانتخابية؟ أو أنه ما زالت لديه التشوهات الفكرية التي كانت في حزب مصر الفتاة التي تجعله بعيداً عن الإسلام النقي؟)[٥٢].

وعلى مستوى التزام أ. عادل حسين بالإسلام في مسلكه فإن «الجماعات أيضاً تعلم علم اليقين الحقيقة وهي لا تفرق في خصوصية من يتصدى للقيادة في الحركة الإسلاموية بين القول والعمل أو بين الكتابة أو الخطابة والسلوك انطلاقاً من الآيات الكريمة الكثيرة في هذا الباب منها على سبيل المثال:

«أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون»[٥٣]. «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»[٥٤]: ـ

قرأت في جريدة «النور» خطاباً يذكر فيه كاتبه أنه شاهد في إحدى قنوات التلفاز الأجنبية برنامجاً أعد عن «رموز» الإسلام في العالم العربي وكانت الحلقة موضوع تعليق القارئ عن أ. عادل حسين، وبعد الفراغ من الأسئلة قال له المذيع «الفرنجي»اسمح لي أن أسألك: كيف وأنت من زعماء الإسلام في مصر تظهر زوجتك وابنتك سافرتين وبملابس مودرن[٥٥] ولا تضعان «الحجاب» على رأسيهما؟.

فأجاب أ. عادل حسين:

«الحجاب» ليس من فروض الإسلام بل من العادات الاجتماعية ويتوافق مع طبقة المرأة أو الفتاة التي ترتديه أو ترفض ارتداءه. أ. هـ

هذه الإجابة هي التي أثارت القارئ وتساءل بغضب:

كيف يكون مسلك «جماعة» أحد حماة حمى الإسلام في عموم ديار الموحدين بهذه الصورة وبدلاً من أن يعتذر عن ذلك إذا به يدافع عنه ويبرره. ولم يكتف أ. عادل حسين باتخاذ جريدة الحزب «الشعب» مطية لأغراضه بل نحج في تحويل حزب العمل الاشتراكي ذي التاريخ الطويل إلى مجرد «فصيل إسلامي»[٥٦]. ولم يعبأ بما جره ذلك على الحزب من متاعب أو غضب قدامى المؤسسين الذين شاركوا الزعيم أحمد حسين ــ رحمه الله ـ في إنشاء الحزب.

تلك كانت فرشة[٥٧]. لازمة قبل أن نتناول بالتعقيب والتعليق أو التحشية ما جاء على لسان أ. عادل حسين[٥٨]. في المناظرة التي جرت بينه وبين د. رفعت السعيد بمقر حزب التجمع يوم السبت ٢٥ فبراير ١٩٩٥م.

بداية أختلف معهما فيما عرّفا به «المناظرة» وأنها تعنى المشاجرة واللجاجة ولا أدري من أين جاءا بذلك وما هو مصدرها؟ إن العكس هو الصحيح فأساس الكلمة إما «نظر» وهو تأمل الشيء بالعين أي كل متكلم ينظر إلى الآخر وهنا ننتقل إلى تصريف «المفاعلة» مثل المكالمة والمداعبة أي يتبادلان النظر، أو أن يريد كل متكلم أن يغدو «نظيرا» لأخيه ومنه قول الزهري: (لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم) لا تجعل شيئاً نظيراً لهما.

مع الوضع في الحسبان ما تطبق عليه قواميس اللغة أن النظائر هم الأفاضل والأماثل[٥٩].

أما اللفظ الذي يحمل المعنى وهو مقصود الدكتور رفعت ثم حظى بتأييد أ. عادل هو «المناقرة» من الفعل «نقر» أي ضرب وعاب وتعقبه حتى أجهز عليه وأهلكه ومنه قول حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما (ما كان الله لينقر عن قاتل المؤمن) أي ما كان الله ليكف عنه حتى يهلكه[٦٠].

إذن هي «المناقرة» التي تعنى المشاجرة واللجاجة بل والأكثر منهما لا المناظرة.

ولكن ـ في نظرنا ـ ما جرى بين د. رفعت و أ. عادل لا يعدو أن يكون «مسامرة».

* * *

قد لا يكون مهماً من وجهة نظر البعض أن يتحدث أمين عام فصيل إسلامي بما تم رصده في صفحة كاملة من جريدة الأهالي ولا يستشهد بآية واحدة من القرآن الكريم أو حديث نبوي أو قول مأثور عن صحابي أو إمام أو فتوى فقيه أو واقعة من التاريخ الإسلامي مع أن الإسلامويين يؤكدون

أن القرآن حوى كل شيء تفسيراً مغلوطاً منهم لآية (ما فرطنا في الكتاب من شيء)[٦١].

وهم يريدون أن يحققوا حكماً تعين وتشيىء على أرض الواقع لعدة قرون!!.

ولكن الذي لا يمكن أن يتجاوز كل من قرأ أو سمع كلام أ. عادل حسين أنه خلا من الروح الإسلامية بمعنى أن ما طرحه يمكن أن ينسب إلى شخص آخر علماني أو دنيوي بحسب تعبيره في مقالاته.

فماذا يعني هذا؟ وعلام يدل؟.

الجواب ليس في حاجة إلى كبير ذكاء أو إلى قدر من فطنة.

هو يعني أو يدل على أن ادعاء أ. عادل حسين «الإسلامية» والحماس إلى الإسلام ينقضه الدليل أو بعبارة أدق قدم هو مشكوراً أدلة النفي عليه.

إذن كيف تصح في العقل إسلامية شخص يثبت هو نفسه أنه لا يعرفه ولا يفقه عنه شيئاً[٦٢].

* * *

أ. عادل حسين أقر أن حزب العمل فصيل إسلامي وهو أمينة العام فإذا قلنا إن أ. إبراهيم شكري هو أميره، كان أ. عادل حسين أحد القياديين فيه وأحد أعضاء مجلس الشورى فيه (وخصائص رجل الشورى: الإحاطة بالكتاب والسنة مع الوعي والتجربة والتحقق ومعرفة العصر وأهله، وفي الأثر: كان القرّاء أصحاب مجلس عمر شيوخاً أو شباباً أي أصحاب مجلس شواره)[٦٣].

فهل ما أدلى به أ. عادل في المناظرة يدل من قريب أو بعيد على إحاطته بالكتاب والسنة أو حتى على معرفة يسيرة بأي منهما؟.

أو أن المسألة لا تعدو أن تكون ألقاباً تحمل ولافتات تعلق بالحق أو بالباطل! وهذا أهم أحد أسباب ارتكاس الحركات المعاصرة وترديها وتحولها من إسلامية إلى إسلاموية. ولهذا (يكاد يجمع كل الدارسين لأوضاع الحركات. الإسلامية المعاصرة فيها على أن هذه الحركات لم

تستطع تأمين الملاك القيادي لتغطي عملها ولم تستطع أن ترفع الكثـير إلى المستوى القيادي الرفيع)[٦٤].

* * *

قال إن التعددية فريضة إسلامية وهـو قـول لم يسـبقه إليـه أحـد لا في جاهلية ولا في إسلام، ويبدو أنه مبهـور بالعبـارة الإنشـائية الفطـيرة وغـير المنضبطة التي أطلقها أ. عباس محمـود العقـاد (التفكـير فريضـة إسـلامية) وجعلها أحد عنوانات كتبـه، فـالمؤمن والكـافر يقـر أن الإسـلام هـو (ديـن التوحيد) ومضاد للتعددية ولو أنه يقبل التعددية حتى بصفتها نافلة لآمـن به مشركو قريش والجزيرة العربية ولما حاربوه (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب)[٦٥]، الإسلام ديانة التوحيد: الإله واحد والرسول واحد والكتاب واحد والقبلة واحدة، بعكس الديانتين الإبراهيمتين اللتين سـبقتاه في التاريخ لافي الرتبة[٦٦]، فالديانة اليهودية تتعـدد فيهـا الكتـب والرسـل والمسيحية تتعدد فيها الآلهة أو الأقانيم وكذلك الرسل[٦٧]. فمـن أيـن أتـى أمين عام فصيل العمل الإسلامي بمقولة التعدديـة في الإسـلام؟ ولا يكتفـي بذلك بل يرفعها إلى مقام الفريضة مثلها في ذلك مثل الصلاة وصوم رمضـان والزكاة والحج!!!.

* * *

وأنكر أن الجماعات الإسلاموية خرجت من عباءة الإخـوان المسـلمين، وهو بذلك يبخس الأخيرين حقهم في الإمامة والقيادة والريادة ، ومـا هكـذا يفعل الحليف بحليفه، وخروج الجماعات من كـم عبـاءة الإخـوان حقيقـة أطبق عليها الباحثون على بكرة أبيهم، سواء كـانوا مـن العـرب أو العجـم (المسلمين) أو الفرنجة، وكان عليه أن يقدم الدليل على نفيه لهذه الحقيقة التاريخية لأن من ينكر ما عليه الإجمـاع يتوجـب عليـه أن يطـرح حجتـه وهذا من بديهيات الأصول: أصول الدين وأصول الفقه.

و أ. عادل حسين في هذه الخصوصية إمـا أنـه لم يقـرأ عـن الحركـات الإسلامية المعاصرة، وأما أنه يلجأ للملاحاة والمنازعة دون وجه حق.

وما كتب عن تلك الحركات ميسور وغزير ومتعدد ومنها ما هو مؤلف بالعربية مباشرة ومنها ما هو مترجم عن الفرنجة ونستبعد أن مثله يجهلها وسنكتفي بإيراد ما يؤكد هذه الحقيقة بإيجاز ومن أقرب المصادر وأيسرها. معروف لمن درسوا أبجديات تلك الحركات أن أهمها أربعة:

جماعة المسلمين المشهورة إعلامياً بـ«التكفير والهجرة» شكري مصطفى وجماعة صالح سرية «الفنية العسكرية» و«الجماعة الإسلامية» وأخيراً «تنظيم الجهاد» الذي نفذ حادثة المنصة.

أ ـ جماعة المسلمين «التكفير والهجرة»

«حين كان اللواء حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة يجري حواراً مع من تبقى من الإخوان المسلمين عام ١٩٦٩ فخرج عليه ١٣ شاباً، يقودهم شاب تقول الدراسات المتوافرة أنه كان غريب الملامح والنظرات، وقال له: أرفض الحوار معك لأنك كافر وحكومتك كافرة وكان هذا الشاب هو شكري أحمد مصطفى، وكان الـ ١٣ شاباً هم النواة الأولى لجماعته التي أسماها بـ«جماعة المسلمين» وعرفت إعلامياً بـ«جماعة التكفير والهجرة»[٦٨].

إذن قيادة جماعة المسلمين «التفكير والهجرة» الـ ١٣[٦٩] شاباً هم أصلاً من جماعة الإخوان ثم كونوا هذه الجماعة فكيف إذن لم يخرجوا من عباءتها؟؟.

ب ـ جماعة صالح سرية (الفنية العسكرية)؟

نشأ صالح سرية في مدينة حيفا بفلسطين، وانتمى في سنوات شبابه الأولى إلى حزب «التحرير الإسلامي» الذي أنشأة تقي الدين البنا في عام ١٩٥٠ كرد فعل لهزيمة الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨، ويقال كرد فعل لاغتيال حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين وأن ثمة علاقات وثيقة كانت تربط هذا الحزب بالإخوان في حرب ١٩٤٨[٧٠].

هذه العبارات لا تترك مجالاً لأي شك في الصلة الحميمة بين حزب التحرير الإسلامي الذي انبثقت عنه جماعة صالح سرية وبين جماعة الإخوان المسلمين ولم يفطن الباحث د. رفعت سيد أحمد إلى التناقض بين إنشاء الحزب في العام ١٩٥٠ والتعاون بين الجماعتين في حرب ١٩٤٨ ـ وكيف يكون إنشاء الحزب تم في العام ١٩٥٠م وكان هناك تعاون بينهما قبل ذلك بعامين.

ولكن أ. هالة مصطفى تؤكد أن صالح سرية (انتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين قبل أن يرتبط بحزب التحرير الإسلامي)[٧١]. وإن مغادرته الإخوان وانضمامه لحزب التحرير الإسلامي كان (تمرداً على النهج التقليدي للجماعة في العمل السياسي)[٧٢]. ثم تلقي الضوء أو مزيداً منه على علاقة صالح سرية بـ الإخوان فتقول: (وكان صالح سرية قد انضم إلى تشكيلات الإخوان بالعراق حين بلغ من العمر الخامسة عشرة وكان أحد قيادات الإخوان المسلمين المعلنة في العراق بعد توجيه الضربة للإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٦٥)[٧٣]. وكشفت الباحثة عن دور خطير قام به صالح سرية إبان إقامته في العراق لصالح جماعة الإخوان المسلمين: (وكان على علاقة شخصية بالأكراد نتج عنها اتفاق سري بينهم مؤداه أن ينضم الأكراد إلى جماعة الإخوان المسلمين في حالة نجاح حركة الإخوان في العراق)[٧٤].

وكما يقول المثل العربي «قطعت جهيزة قول كل خطيب» ولم يعد هناك مجال للشك في انتماء جماعة صالح سرية للإخوان المسلمين.

جـ - الجماعة الإسلامية

وبدأت الجماعات خلال ١٩٨٠ في تنسيق أعمالها على المستوى القطري وأقامت اتحاداً أعلى أطلقت عليه «الجماعة الإسلامية»... (ومن الجدير بالذكر أن أصحاب المناصب الكبرى في هذا الاتحاد مثل الدكتور علي الجزار «الأمين العام» أو أمير الأمراء ومحمد عبد القدوس السكرتير العام والدكتور عصام العريان «أمين الصندوق» كانوا من كبار المتحدثين في

الاجتماعات المناهضة للأقباط..)[٧٥]. ومعروف أن كلاً من الجزار والعريان وعبد القدوس من الإخوان.

ويؤكد الباحث أن عصام العريان كان (على معرفة وثيقة بكل من عبود الزمر وطارق الزمر وكان ناجح إبراهيم أمير الجماعة بأسيوط هو قائد الهجوم الشهير على مبنى مديرية الأمن بالمدينة والصدام المسلح مع الجيش يوم ٨/١٠/ ١٩٨١)[٧٦]. وتضيف أ. هالة مصطفى إلى ذلك معلومات شديدة الأهمية وتلقي الضوء على أسلوب جماعة الإخوان في العمل والتعامل مع الجماعات وهو الأمر الذي ينفيه علانية المتنفذون فيها من باب «التقية» (فقد كانت هناك محاولات دائمة من جانب جماعة الإخوان المسلمين لاحتواء الجماعة الإسلامية حتى أن البيانات والمنشورات التي كانت تصدرها الجماعة في فترة مبكرة كانت تصطبغ بالصبغة «الإخوانية» وهذا يدلل على أن الإخوان نجحوا محلياً في احتواء الجماعات الإسلامية في هذه الفترة أي فترة السبعينيات)[٧٧].

وبعد هذا يغدو على الإسلاماركسي أ. عادل حسين ألا ينكر أو ولادة «الجماعة الإسلامية» كانت على أيدي دهاقنة الإخوان المسلمين.

د ـ تنظيم الجهاد:

(تعود جذور هذا التنظيم إلى جماعة الفنية العسكرية التي تم الكشف عنها في ١٩٧٤ ـ ويمكن اعتباره أحد حلقات تطورها التي مرت بمرحلتين الأولى عام ١٩٧٧، والأخرى عام ١٩٧٩. وقد تشكل التنظيم الأول على يد اثنين من أعضاء الفنية هما سالم الرحال وكان طالباً بجامعة الأزهر وأردني الجنسية وحسن حلوى بعد أن تمكنا من الهرب)[٧٨]. أما د. رفعت سيد أحمد فيقول (تعود نشأة جماعة الجهاد الإسلامي التي أسس نواتها المهندس محمد عبد السلام فرج إلى عام ١٩٧٩. وهي تعد الحلقة الثانية المهمة في حلقة جماعات الجهاد في مصر خلال حقبة السبعينيات، ولقد مثلت جماعة عبد السلام فرج نقطة التقاء ثلاث جماعات كانت تعمل متباعدة قبل عام ١٩٨٠ وهي فضلاً عن جماعته، جماعة كرم زهدي بوجه

قبلي وجماعة سالم الرحال الأردني الجنسية الذي تولى كمال السعيد قيادتها بعد هروب الرحال إلى الأردن)[٧٩].

إذن تعود جذور تنظيم الجهاد إلى تنظيم صالح سرية (الفنية العسكرية) وأحد روافده المهمة التي شاركت في تأسيسه هو جماعة سالم الرحال الأردني الجنسية والذي حل محله في القيادة كمال السعيد حبيب.

وتؤكد نعمة الله جنينة ذلك، (وقد تأسس التنظيم الثاني في نفس الوقت الذي أسس فيه محمد عبد السلام فرج تنظيمه، وكان رئيس هذا التنظيم محمد سالم الرحال الذي كان طالباً بجامعة الأزهر وهو أردني الجنسية. وقد انتقلت قيادة هذا التنظيم بعد طرد الرحال من مصر إلى كمال السعيد حبيب الذي كان قد تخرج من جامعة القاهرة ونال درجة الاقتصاد وكان عمره ٢٤ سنة، وقد ظل حبيب الذي التزم بأفكار الرحال رئيساً للتنظيم إلى أن قدمه طارق الزمر إلى محمد عبد السلام فرج. وقد انضم حبيب مع العديد من أعضاء مجموعته إلى تنظيم محمد عبد السلام فرج)[٨٠].

ولا خلاف على علاقة الرحال بتنظيم صالح سرية أو الفنية العسكرية وصلة الاثنين بـ«حزب التحرير الإسلامي» في الأردن (ولقد ألقت وسائل الإعلام اللوم على «حزب التحرير الإسلامي» الأردني، في إنشاء تنظيم الرحال وكانت مجموعة الفنية العسكرية قد أطلقت على نفسها اسم «حزب التحرير الإسلامي»)[٨١]. وسبق أن أوضحنا صلة صالح سرية بالإخوان المسلمين وانضمامه إليهم (وتجدر الإشارة إلى أن صالح سرية كان أحد أعضاء الإخوان المسلمين في الأردن ثم انضم لحزب التحرير الإسلامي)[٨٢].

إذن اعتبار «تنظيم الجهاد» أحد فروع جماعة الإخوان المسلمين حقيقة أيدتها الدراسات الجادة الرصينة.

وذكرت هالة مصطفى إن (كثير من الباحثين يؤكدون على الصلة بين جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الراديكالية)[٨٣]. وذكرت من بينهم د. سعد الدين إبراهيم.

فهل نطمع أن يعلن أ. عادل خطأه في إنكاره خروج «جماعات العنف» من كم عباءة جماعة الإخوان كما أعلن عمر بن الخطاب ـ رضى ا الله عنه ـ على المنبر والألوف تسمعه في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام. خطأه في مسألة المهور، أم لا يفعل مؤكداً بذلك إسلاماركسيته؟.

وأبدي أ. عادل حسين ارتياحه بعبارات تشي بالزهو والافتخار لتعدد فصائل الحركة الإسلامية لا في أقطار العالم الإسلامي، بل في القطر الواحد وضرب لذلك أمثلة، ثم اعتبر ذلك علامة صحة لا عوارض مرض ومرض خطير، وهذه ليست خيبة بالويبة[٨٤] فحسب بل هي طامة كبرى لأنها تدل على أمرين:

أولهما: إن أ.عادل حسين رغم مفارقته للماركسية منذ ربع قرن فإنه لم يتمثل روح الإسلام بل لم يفهمها إذ الإسلام يؤكد على الوحدة (واعتصموا بحبل ا الله جميعاً ولا تفرقوا)[٨٥]. (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جارهم البينات)[٨٦]. بل إن ا الله جل جلاله فصم رسوله عليه الصلاة والسلام عمن يختلفون ويتفرقون ويتشرذمون (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء)[٨٧]. وحض المسلمين على الوحدة والابتعاد عن التنازع (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)[٨٨]. وعاب القرآن الكريم على بني إسرائيل تفرقهم واختلافهم وامتن سبحانه وتعالى على الرسول صلى ا الله عليه وسلم وعلى المهاجرين والأنصار رضى ا الله عنهم أن ألف بينهم (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن ا الله ألف بينهم)[٨٩].

واعتبر الرسول عليه السلام تنازع المسلمين وتفرقهم (الحالقة) التي تحلق الدين أي تستأصله من جذوره.

فكيف يفرح الإسلاماركسي أ. عادل حسين ويزهو بتعدد فصائل الحركة الإسلامية؟.

آخرهما: إنه لم يقرأ حرفاً واحداً مما كتبه جلهوم[٩٠] المنظرين للحركة الإسلامية، منهم على سبيل المثال: حسن البنا ـ المودودي ـ الندوي ـ سيد قطب ـ سعيد حوى ـ محمد قطب ـ القرضاوي وصديقاه الحميمان: الترابي

والغنوشي في ضرورة توحد الحركة الإسلامية لا في المصر الواحد، بل في الأمصار الإسلامية جميعها، ونظراً لضيق المجال فإننا نورد نتفاً مما ذكره سعيد حوى وهو أحد كبار الإخوان المسلمين في سوريا وأحد كبار المنظرين المعاصرين[٩١]. ومن الذين يعتبرون كتابات حسن البنا (تنزيلاً من التنزيل):

(إننا ندعو المسلمين في العالم وفي كل قطر ليشكلوا جماعة واحدة... يجب أن يكون المسلمون في القطر وفي العالم الواحدة جماعة واحدة... إن الاقتناع بهذا هو المقدمة العادية لجماعة واحد في القطر الواحد والعالم الواحد)[٩٢]. وسعيد حوى ــ وشتان ما بين فهمه للإسلام وفهم الإسلاماركسي أ. عادل حسين ـ يتوجع للتعددية التي ضربت الحركة الإسلامية وأصبحت من سماتها المميزة وشاراتها الفارقة لا نقول في القطر الواحد بل في القرية الواحدة، والقارىء يسمع أنينه بل نواحه حين يسطر (كلما اجتمع عشرة منهم ظنوا أنهم جماعة المسلمين، واعتبروا حل مشكلة المسلمين بأيديهم فنجد في القطر الواحد عشرات الفئات لا يربطها رباط جامع)[٩٣]. وحوى يقرر بحسم حاسم (إن المفاصلة ينبغي أن تتم بين المسلمين وغيرهم من ليسوا مسلمين)[٩٤]. أي هو لا يتصور وجود مفاصلة بين المسلمين على الإطلاق، ثم يعقب ذلك بالدرس الثالث وعنوانه: في ضرورة البحث عن الصيغ التنظيمية من أجل الحركة الإسلامية الواحدة.

وفيه يرسم الخطوات التي تؤدي إلى توحيد الحركة الإسلامية. هذا مثل لما يؤكده جهابذة المنظرين للحركة الإسلامية، ومن ثم فإن ما ذكره الإسلاماركسي أ. عادل حسين (والتعددية الإسلامية تعني أنه في داخل الأصول الإسلامية الواحدة التي توجه حركة المسلمين جميعاً ومعتقدات المسلمين جميعاً، فإن مجال الاختلاف في الاجتهادات في إطار هذه الأصول بلا نهاية. «أ. هـ.» من نص المواجهة التي نشرتها جريدة الأهالي أول مارس ١٩٩٥م) يغدر مناقضاً تمام المناقضة لما استقر عليه إجماع أولئك المنظرين.

هذا بالإضافة إلى الأخطاء الفادحة التي حوتها هذه الفقرة القصيرة، الأمر الذي يؤكد أن الأخ الإسلاماركسي أو الإسلاماركسي الأخ أ. عادل حسين بعيد عن فهم الإسلام بُعد الصين عن مراكش:

فما هي الأصول الإسلامية الواحدة؟ وما المقصود بها؟. وهل هي أصول الدين أو أصول الفقه؟. وهل هناك اختلاف في معتقدات المسلمين؟ هل هناك اختلاف بينهم في مسائل الألوهيو والنبوة فالبعث والجزاء أو الحساب والجنة والنار...؟. أم أن الاختلاف حدث في فروع العبادات وفي المعاملات!!! ومتى حصل ذلك في تاريخ الإسلام؟. سواء بشكل خاص أو بشكل عام كما يزعم أ. عادل حسين، ولماذا لم يضرب مثلاً واحداً يتيماً من التاريخ ليعطي كلامه ولو نكهة ضئيلة من المصداقية، أم أن مخزونه من العلوم الإسلامية ومن التاريخ الإسلامي لا يسعفه؟.

* * *

وعرف اصطلاح «الصحوة الإسلامية» بأن:

(جماهير الأمة ونخبها الشابة أفاقت من غيبوبة طويلة وفي ضوء كل التجارب عادت إلى تبين الحقيقة. أ. هـ).

وهو تعريف علاوة على أنه عائم وغائم وتعوزه الدقة ــ إذ ما هي النخب الشابة ومن قال قبل أ. عادل حسين إن النخب تكون شابة ولو فتح أي كتاب في علم الاجتماع ـ وخاصة علم الاجتماع السياسي ـ أو حتى أي قاموس أو معجم في علم الاجتماع ـ لا تضح له خطأه الفاضح.!.

وماذا يقصد بالنخب: هل هي النخبة السياسية أو المالية أو الاجتماعية؟ وإذ حدد النخب بـ«الشابة» فهو يعني إذن خريجي الجامعات الذين لا طاقة لهم بكتابة جملة صحيحة [٩٥].

وماذا يقصد بـ«جماهير الأمة» وهل هو تطور في أفكار إسلاماركسيين نحو القاعدة الجماهيرية العريضة فقد رأينا أحدهم يؤكد أن هؤلاء غوغاء وأن الإسلام لا يعبأ بهم إذ لا يعبأ بالغوغاء إلا الغوغائيون.

وما هي الغيبوبة التي كانت النخب الشابة والجماهير سادرة فيها وأفاقت منها ولماذا لم يحددها؟ ألم يكن هو أحد المشاركين في صنع تلك

الغيبوبة ـ هذا مع التسليم الجدلي بأنها كانت غيبوبة ـ عندما مر بالحقبة الوسيطة حقبة القومية / الناصرية حسبما اعترف في مفتتح حديثه ـــ وهل يجوز في ميزان الإسلام الحديث عن عهد كان مشاركاً فيه بأنه كان يغيب المواطنين ويُبنجهم[٩٦]، أما كان أجدر به أن يحكي كالمنصفين عن السلبيات والإيجابيات والمناقب والمثالب!!!.

وما هي تلك التجارب التي مرت عليها ولماذا أغفلها الإسلاماركسي ولم يذكرها لنعرف كنهها؟.

وما هي الحقيقة التي عادت إلى تبنيها؟ ولماذا يجنح دائماً إلى التجهيل والتنكير؟ ثم بعد هذه الاستطرادة نقول إن التعريف عائم وغائم لأنه ينطبق على كل صحوة فإذا استبدلت بـ«الإسلامية» اليهودية أو المسيحية أو البوذية لما اختلف الأمر لا في قليل أو كثير.

وسبق أن قلنا للإخوة الإسلامويين أو الإسلامويين الإخوة إن مقولة. «الصحوة الإسلامية» التي تلوكها ألسنتكم في كل مقال ومحفل خرافة كالغول والعنقاء[٩٧]. والخل الوفي.

وسألناهم أين هي هذه الصحوة، وكيف تكون، وما من دولة من دول العالم الإسلامي حتى ذات الدخول الأسطورية إلا وتندرج تحت خانة العالم الثالث بل إن هذه الدول بالذات تلجأ إلى الفرنجة ممن هم على غير دينها إلى حماية أراضيها وبأي مقياس يكون العاجز عن حراسة نفسه صاحياً؟.

وكيف تكون هناك صحوة دون تصنيع ثقيل وتكنولوجيا متقدمة ودون القضاء على الأمية التي تصل في بعض أمصار الصحوة المزعومة إلى ٩٠٪ والأهم من ذلك الانعتاق من سلطة النصوص وهيمنة الغيبيات والماورائيات والمسطورات التي تكبل العقل وتقيده وتسجنه!!.

* * *

ونكتفي بهذا من «التحشية» على ما جاء على لسان الإسلاماركسي أ. عادل حسين في «المواجهة» وفي تعقب أهم السقطات التي ترنح فيها ولعلها تكون قد وفقت في إظهاره على حقيقته وإثبات أن ثوب «الإسلامية» الذي

يحاول هو وعصابة[٩٨] الإسلاماركسيين التلفح به فهو شف[٩٩] لا يخفي ما هو خلفه، وقد آن الأوان أن يقلعوا عن هذا الدور البهلق[١٠٠].

نحن لا نطلب منهم أن يعودوا أدراجهم إلى حنجهم وبنجهم[١٠١]، ولكن ندعوهم إلى أن يصدقوا مع الله مع أنفسهم ومع مواطنيهم، وأن يقولوا للناس حسناً كما أمروا، وأن يعرفوا أقدارهم حق قدرها وأن يلزموا غرز[١٠٢] الإسلام الصحيح.

الهوامش

(١) يؤكد أ. خالد محيي الدين أن د. مصطفى محمود لم يكن ماركسياً، إنما كان ملحداً يجاهر بإلحاده، ولكننا تقصينا الأمر فشهد عدد من الرفاق الماركسيين أنه كان منهم وبالتحديد في منظمة (ح د ي ت و) وكان يعلن إلحاده ويجلس على مقهى إيزائيفتش بميدان التحرير ويسخر من الإسلام ويتهكم على القرآن ويتطاول على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأنذرته المنظمة أكثر من مرة بالكف عن ذلك فلما لم يمتثل فصلته، ولعل أ. خالد التقاء بعد فصله وعدم انضمامه لمنظمة ماركسية أخرى فظن أنه لم يكن ماركسياً ومجرد ملحد نزق يتباهى بإلحاده ويعتبره دليلاً على تقدميته وعقلانيته واستنارته.

(٢) كان صهيب قد أسلم قبل ذلك وكان من السابقين الأولين وترحيب الرسول عليه السلام به لمناسبة هجرته دار الكفر والتحاقه بدار الإيمان.

(٣) د. مصطفى محمود «لماذا رفضت الماركسية ـ حوار مع خالد محيي الدين» ـ ص ٦٤ ـ الطبعة الثانية ـ المكتب المصري الحديث ـ القاهرة.

(٤) ذاته ص ٤.

(٥) ذاته ص ١١.

(٦) ذاته ص ١٢.

(٧) ذاته ص ٣٣.

(٨) ذاته ص ٣٥.

(٩) في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية/ الزغلة من الشراب قدر ما يملأ الفم. وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي/ أزغل لي زغلة من إنائك: صب لي شيئاً.

(١٠) في المعجم الوسيط/ الهف: الخفيف من الناس وفي القاموس المحيط هو كل خفيف لا شيء في جوفه.

(١١) هذا التوصيف يدل على النزول إلى الفقر أكثر من مقاربة الغنى.

(١٢) في المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية ـ الجزء الثاني ـ حرف الباء ـ البُلَهنية: الرخاء والسعة.

(١٣) الآية الستون من سورة التوبة.

(١٤) قاله الرسول عليه السلام في غزوة حنين.

(١٥) في المعجم الوسيط/ اللظى: لهب النار الخالص لا دخان فيه ، وفي القاموس المحيط/ اللظ: الرجل العسر المتشدد. وعلى ذلك لا يجد اللظى أي لا يملك ثمن الوقود لداره. والعامة في مصر تنطقها بالضاد أي اللضى.

(١٦) د./ عبد الستار إبراهيم (الإنسان وعلم النفس) ص ١٨٦ ـ العدد/ ٨٦ من سلسلة عالم المعرفة الكويتية ـ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ فبراير/ شباط ١٩٨٥م.

(١٧) في القاموس المحيط/ السح الصب والسيلان والتسحح أن يسمن غاية السمن.

(١٨) في المعجم الوسيط/ النشع: الماء الذي خبث طعمه.

(١٩) في القاموس المحيط السخ بالضم: اليمن والبركة.

(٢٠) في المعجم الوسيط/ المنشع: وعاء النشوع.

(٢١) القصد منها منافسة جائزة نوبل وحتى يكون العرب والمسلمون ندا للفرنجة النصارى!!.

(٢٢) كان روجيه جارودي عضواً في اللجنة المركزية بـ«الحزب الشيوعي الفرنسي».

(٢٣) د/سعيد عبد المقصود ظلام (لا...لجارودي) ص ٨٠ ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ دار المنار القاهرة.

(٢٤) ذاته ص ٥٩.

(٢٥) ذاته ص ٥٧.

(٢٦) ذاته ص ٦٢ ـ ما جاء على لسان جارودي نُشر بمجلة المصور ١٥ أغسطس ١٩٨٦ ص ٢٦.

(٢٧) ذاته ص ٦٣.

(٢٨) ذاته ونفس الصفحة.

(٢٩) ذاته ونفس الصفحة.

(٣٠) الآية/ ٢٤ من سور الطور.

(٣١) في مختار الصحاح/ شرد البعير: نفر فهو شارد وشرود.

وفي شعر أبي تمام: لا تنكروا ضربي له من دونه إذن مثلاً شروداً في الندى والباس.

(٣٢) يشهد أ. خالد محيي الدين أن د. مصطفى محمود عرف في أوساط الكتاب طوال السنوات الماضية بإلحاده الشديد ـ ص ٤٦ من كتاب (لماذا رفضت الماركسية) مرجع سابق.

(٣٣) لم يعهد في أحد من الإسلاماركسيين مجاهرته بالإلحاد افتخاره به بتلك الطريقة ــ المجوجة التي كان د. مصطفى محمود يفعلها.

(٣٤) يبدو أن «دار الشروق» تخصصت في احتضان الإسلاماركسيين فبعد د. محمود أخذت تنشر كتباً لـ د. محمد عمارة ـ وهذه الدار معروفة بميولها الإخوانية ولأحد أصحابها صلة مصاهرة بأحد كبار قادة الإخوان في مصر.

(٣٥) في المعجم الوسيط/ شطح في السير أو القول: تباعد واسترسل.

(٣٦) محمود محمد طه (القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري) ص ١٠ ـ د.ت. ـ د.ن ـ أم درمان/ السودان.

(٣٧) المرجع ذاته ص ٥.

(٣٨) في المعجم الوسيط/ أطحه: أسقطه ورماه.

(٣٩) في المعجم الوسيط/ اللغا: ما لا يعتدبه وما لا يحسب... وسقط المتاع.

(٤٠) في المعجم الوسيط/ الينكوب من الطرق هو المنحرف.

(٤١) محمود محمد طه (القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري) ص ١٤٣ ــ مرجع سابق.

(٤٢) في المعجم الوسيط/ الشفشاف من الثياب الذي لم يحكم نسجه/ وتسميه العامة في القاهرة: «الشفتشي».

(٤٣) محمود محمد طه (القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري) ص ١٤٧ ــ مرجع سابق.

(٤٤) ذات المرجع ص ٢١٢.

(٤٥) د. عاطف أحمد (نقد الفهم العصري للقرآن) ص ٦٠ ـ الطبعة الثالثة ديسمبر سنة ١٩٨٥ ـ دار العالم الجديد القاهرة.

(٤٦) أرى أن الصديق. أ. صلاح عيسى يمتلك موهبة أدبية أصيلة وخاصة في مجال السخرية وطلبت منه أن يتفرغ للكتابة الأدبية وسوف يصبح «تشيكوف مصر» وكان ذلك في وجود الصديق أ. حسين عبد الرازق وكان وقتها يرأس تحرير جريدة الأهالي فنظر إلى بعتاب وقال لي: وبعدين يا فلان.

(٤٧) أرجح أنه الآن على «قوتها» ولو أنه ممنوع من الكتابة فيها ومع ذلك يدعـى أبـواق النظام الحاكم أننا في أزهي عصور الحرية والديمقراطية...الخ.

(٤٨) في المعجم الوسيط/ رش الطريق: نضح عليه الماء ليسكن غباره.

(٤٩) في المعجم الوسيط/ جمش المرأة: غازلها بقرص أو ملاعبة فهو جامش وجماش.

(٥٠) في المعجم الوسيط/ العباطة: البله وعدم النضج.

(٥١) في المعجم الوسيط/ جاز القول جوزا وجوازاً ومجازاً: قبل ونفذ.

(٥٢) رفعت سيد أحمد «النبي المسلح ١- الرافضـون ـ» ص ١٥٦ ـ الطبعـة الأولى كـانون الثاني: يناير ١٩٩١ ـ من منشورات: رياض الريس للكتب والنشر ـ لنـدن/ المملكـة المتحـدة وهذه العبارة وردت في الوثيقة الخامسة التي أصدرتها الجماعة الإسلامية الجهادية في مصر ـ فرع تنظيم الجهاد بصعيد مصر.

ود. رفعت سيد أحمد مصنف هذا الكتاب (جمع وثائقه وقدم لها وعلـق علـى كثـير ممـا جاء بها) وهـو في ذات الوقـت مديـر تحريـر المجلـة الشـهرية الـتي يصدرهـا المركـز العربـي الإسلامي للدراسات «منبر الشرق» وأ. عادل حسين هو رئيس تحريرها، الأمر الذي يؤكد أنـه لابد قد أطلع على الكتاب بـ جزئيه (الرافضون والثائرون) وعـرف رأى «الجماعـات» فيـه وفي حزبه ومع ذلك ما زال يشعبذ ويمزق ويؤسلم مقالاته لعلها وغيرها تقنع من يهمهـم الأمـر أنـه صار من السابقين الأولين.

(٥٣) الآية/ ٤٤ من سورة البقرة.

(٥٤) الآية/٣٠ من سورة الصف.

(٥٥) امتنع عامداً متعمداً عن وصف الملابس كما جاءت في الخطاب لأننا ننقد ولا نجـرح ولا نتناول أموراً شخصية أو خاصة ـ حتى لو رأى البعض في نقدنا قدراً من القسوة.

(٥٦) في معاجم اللغة/ الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمـه وافتصلـت المرأة رضيعهـا: فطمته.

(٥٧) في المعجم الوسيط. فرش النبات: انبسط على وجه الأرض وانفرش الشيء: انبسط.

(٥٨) بمعنى أدق بعض ما جاء على لسان أ. عادل في المناظرة لأن تناول جميع ما فاه بـه يستنزف مساحة غير مأذون لنا بها.

(٥٩) على سبيل المثال انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي في مادة: نظر.

(٦٠) لمزيد من الإيضاح ارجع إلى مختار الصحاح للرازي والقاموس للفيروز آبادي ـ كليهما في مادة «نظر».

(٦١) الآية/ ٣٨ من سورة الأنعام.

(٦٢) مجلة منبر الشرق ـ إسلامية شهرية يصدرها المركز العربي الإسلامي ـ حزب العمل ـ وقد تولى أ. عادل حسين رئاسة تحريرها منذ العدد الثاني عشر وآخر عدد صدر منها هو الثامن عشر أي أصدرت تحت رئاسته سبعة أعداد ومع ذلك لم يكتب فيها سوى مقالة واحدة في العدد السادس عشر وهي تعليق على مؤتمر السكان الذي انعقد في القاهرة في سبتمبر ١٩٩٤م. وعلى وثيقته، وهي مقالة علمانية يمكن لأي دنيوي أن يكتبها فكيف يجوز أن يبتعد رئيس تحرير مجلة إسلامية عن الكتابة فيها؟؟؟.

(٦٣) سعيد حوى (دروس في العمل الإسلامي) ص ١٥ ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ دار السلام للطبع والنشر والتوزيع ـ حلب ـ سوريا.

(٦٤) ذاته ص ٦٥.

(٦٥) الآية الخامسة من سورة ص.

(٦٦) نذكر ذلك حتى نقطع على الإسلامويين التنطع واللبك، في القاموس المحيط للفيروز آبادي/ اللبك: الخلط.

(٦٧) المسيحيون منحوا الحواريين وغيرهم لقب رسول.

(٦٨) رفعت سيد أحمد «وثائق تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينيات» ص ١٣ ـ طبعة ١٩٨٦ مكتبة مدبولي/ القاهرة و د. رفعت سيد أحمد في «الحركات الإسلامية في مصر وإيران» ص ١٠٣ ـ الطبعة الأولى ١٩٨٩م ـ سينا للنشر ـ القاهرة.

وكيف يمكن أن نصدق أن أ. عادل حسين لم يقرأ هذين الكتابين أو أحدهما، وخاصة أن مؤلفهما ـ كما سبق أن ذكرنا ـ مدير تحرير مجلة منبر الشرق التي يرأس تحريرها أ. عادل! !.

(٦٩) الحواريون أو التلاميذ أو الرسل الذين كانوا مع المسيح عليه السلام كانوا ثلاثة عشر وعدة أهل بدر الكبرى من المسلمين كانوا ثلاثة عشر وعدة أهل بدر الكبرى من المسلمين كانوا ثلاثة عشر وثلثمائة فهل هناك صلة من نوع خاص بين الديانتين الساميتين وبين الرقم ١٣ وهل لهذا الرقم مكان ملحوظ في الميثولوجيا السامية القديمة ـ هذا ما أدعو أخي وصديقي د. سيد محمود القمني عالم الميثولوجيا المرموق أن يجيبني عنه.

(٧٠) د. رفعت سيد أحمد «الحركات الإسلامية في مصر وإيران» ص ١١٠ ــ مرجع سابق.

(٧١) هالة مصطفى (الإسلام السياسي في مصر من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف) ص ١٤١ ـ الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ــ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ــ مؤسسة الأهرام ـ القاهرة.

(٧٢) ذاته ونفس الصفحة.

(٧٣) ذاته ونفس الصفحة.

(٧٤) ذاته ونفس الصفحة.

(٧٥) د. رفعت سيد أحمد «الحركات الإسلامية لمجه ص ١١٩ مرجع سابق.

(٧٦) ذاته ونفس الصفحة.

(٧٧) هالة مصطفى «الإسلام السياسي» ص ١٥٩ مرجع سابق وقد نقلت الباحثة ذلك من كتاب صالح الورداني «الحركة الإسلامية في مصر» الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

(٧٨) هالة مصطفى (الإسلام السياسي في مصر) مرجع سابق ص ١٤٩.

(٧٩) د. رفعت سيد أحمد (الحركات الإسلارمية) مرجع سابق ص ١١٢.

(٨٠) نعمة الله جنينه (تنظيم الجهاد هل هو البديل الإسلامي في مصر؟) ص ١٠١/١٠٢. العدد/ ١٨ من كتاب الحرية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٨١) ذاته هامش الصفحة١٠١.

(٨٢) هالة مصطفى (الإسلام السياسي في مصر) ص ١٤١ ـ مرجع سابق.

(٨٣) ذاته والصفحة نفسها.

(٨٤) في المعجم الاقتصادي الإسلامي «للدكتور أحمد الشرباصي/ الويبة: وحدة للمكاييل المصرية وهي كيلتان أي ستة عشر قدحاً ـ طبعة ١٤٠١ هـ ١٩٨١م ـ دار الجيل ـ مصر.

(٨٥) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٨٦) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران.

(٨٧) الآية ١٥٩ من سورة الأنعام.

(٨٨) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.

(٨٩) الآية ٦٣ من سورة الأنفال.

(٩٠) في المعجم الوسيط الجلهوم: الجماعة الكثيرة.

(٩١) عاب الإسلاماركسي على الدكتـور رفعت السعيد رجوعـه أو استناده إلى كتابـات الحركة الإسلاموية في الثلاثينيات وهذا خطأ منهجي منـه (= من أ. عـادل) مـا كـان لـه أن ينزلق إليه، ومع ذلك فنحن نحاجه بكتابات المنظرين المعاصرة.

(٩٢) سعيد حوى « دروس في العمل الإسلامي» ـ الـدرس الثـاني: من أجـل حـزب لله واحد ومن أجل حركة إسلامية واحدة ـ مرجع سابق.

(٩٣) ذاته ص ٢٣.

(٩٤) ذاته ص ٢٠.

(٩٥) المحامون الذين يحضـرون للتمريـن بمكتـبي منـذ أوائـل الثمانينيـات وربمـا قبلهـا بخطئـون في الإمـلاء ودع جانبـا الخطـأ في النحـو ـ وهـذه «النخـب الشـابة» حسـب تعبـير الإسلاماركسي أ. عادل حسين تعرف عن الخطيب لاعب كرة القـدم كـل صغـيرة وكبـيرة ولم تسمع عن «الخطيب البغدادي» وتنحصـر معلوماتهـا عـن الخليفـة المـأمون: إن هنـاك شـارعاً باسمه نواحي مصر الجديدة ـ والذين يتابعون البرامج التلفازية التي تتعـامل فيهـا المذيـع مـع شباب الجامعات أو المتخرجين فيها حديثاً يسمع ما هو أعجب وأغرب.

(٩٦) في المعجم الكبير لمجمع الغة العربية ـ الجزء الثاني ـ حـرف البـاء/ بنـج الطبيـب المريض: خدره (محدثه).

(٩٧) ذكر الإمام القزويني في «عجائب المخلوقات» أن بعض الصحابـة رضـوان الله تعـالى عليهم قابل العنقاء منهم عمر بن الخطاب.

(٩٨) في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية/ العصابة: الجماعة من النـاس أو الخيـل أو الطير وفي حديث يوم بدر الكبرى (إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً).

(٩٩) في المعجم الوسيط/ سترشف: رقيق يستشف ما وراءه.

(١٠٠) في المعجم الكبير ـ الجزء الثاني ـ حرف الباء/ بهلق: نافق ولقى الناس بكلامه.

(١٠١) في المعجم الكبير ـ الجزء الثاني ـ حـرف البـاء/ أبنـج الرجـل: انتسـب إلى أصـل كريم. ويقال رجع فلان إلى حنجه أي عاد إلى أصله.

(١٠٢) في القاموس المحيط للفيروز آبادي/ الزم غرز فلان أي أمـره ونهيـه واشـدد يديـك بغرزه أي حث نفسك على التمسك به.

الشيخ مصطفى عاصي

نعم للحوار ولا للعنف والإرهاب.

كان حواراً جاداً وبناء هذا الذي جرى بين قطبين كبيرين من أقطاب العمل السياسي في مصر المعاصرة على مدى ما يزيد على الأربعين عاماً الأخيرة، عاصرا فيها أهم الأحداث والتحولات السياسية والاجتماعية منذ عهد الملكية وقيام الثورة بانتصاراتها وهزائمها في عهودها الثلاثة بقيادة عبد الناصر والسادات ثم مبارك، كما عايشا معاً مرحلة الدعوة للاشتراكية العلمية، والعمل تحت راية اليسار المصري بكل نجاحاته وإخفاقاته ومآسيه حتى آل بهما الأمر إلى السجن، ولم يفترقا سياسياً إلا في السنوات الأخيرة حيث أصبح للعمل الإسلامي السياسي نفوذاً أوسع، مما جعل البعض يعيد حساباته القديمة وبخاصة مع تراجع الشيوعية وحركة اليسار العالمي بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، نعم كان لقاءً حاراً بين الأستاذ عادل حسين أمين حزب العمل ود. رفعت السعيد أمين حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي وقد قدّم رفعت السعيد صديقه القديم بعبارات تنم عن الاحترام واتساع الأفق والرغبة الجادة في محاولة الفهم والتفهم دون اللجوء إلى التشاجر أو التعصب فقال: إن الهدف من اللقاء هو أن نفهم وأن نتفهم قدر ما نستطيع... فمن الخطأ أن يتصور البعض أننا جئنا لكي نتشاجر. فأنا والأستاذ عادل وأصدقاء قدامى... ولن تتبعثر هذه الصداقة بسبب حوار أو موقف...

مع احتفاظنا بمواقفنا الفكرية والسياسية دون تنازل لكن المهم أن نكون موضوعيين:

كانت هذه البداية مشجعة وموضوعية وبخاصة أن حزبه (التجمع) كان صاحب الدعوة للحوار من أجل الحق والوطن.

وقد أثنى الأستاذ عادل حسين على كلام د. رفعت ـــ حين بدأ حديثه ـ مؤكداً أنه قد حضر بقلب وعقل مفتوح بهدف الحوار وليس التناطح، ومؤكداً على أن الأمة في وضع خطير والمخرج هو الحوار وتبادل الرأي، كما أكد على عمق صداقته وزمالته القديمة لرفعت السعيد حتى خرجا من السجن في سنة ١٩٦٤. ثم افترقت بينهما السبل ـ حتى راجع كثيراً من أمور حياته ومواقفه ومن بين ذلك سؤال لنفسه ولماذا لم أتناقش مع رفعت السعيد...؟؟.

وبعد ذلك أخذ يعدد مراحل تطوره الفكري والسياسي، فذكر أنه ناضل في قلب الفكر الماركسي اللينيني زهرة شبابه وتحمس له ودفع ثمناً غالياً ـــ ثم انتقل إلى الفكر القومي الراديكالي متفاعلاً مع التجربة الناصرية... ثم تطور إلى مواقع الفكر الإسلامي، وكان ذلك كله نتيجة معاناة وقراءة وتأمل، حتى وصل إلى الموقف الحالي داخل الحركة الإسلامية والفكر الإسلامي منذ الثمانينيات... وحتى داخل هذا الفكر وتلك الحركة فقد **تطور أيضاً** فهو من:

(١) المؤمنين **بأهمية التعددية** داخل الحلف الإسلامي والحركة الإسلامية ـــ فالتعددية هي **التي توجه حركة المسلمين**، كما توجه معتقداتهم جميعاً... وليس للاختلاف بينهم في مجال الاجتهاد نهاية، كان هذا صحيحاً في الماضي والتاريخ وهو صحيح الآن حتى أنها تلمس باليد... فكل له حساباته ومخططاته يختلفون معاً... ولكن ـــ لا يكفر أحدهم الآخر؟؟ فكلهم يختلفون داخل إطار الأصول الإسلامية ـــ سواء في الجزائر أو السودان أو مصر.

فهناك تنوع في الاجتهاد على مستوى الحركة السياسية فليس كل الداعين في مصر إلى الحل الإسلامي ينتهجون نفس السبل. ويتبنون نفس التصورات لهذه الدولة الإسلامية. هذه هي الحقيقة للحركة الإسلامية المعاصرة، وليست مجرد أطروحة نظرية ممكنة في الإسلام ولكنها تستمد مشروعيتها من الإسلام نفسه ؟؟. فالتعددية فريضة إسلامية كما أن التفكير فريضة إسلامية ومن التفكير يتولد الاختلاف في الرأي والتعددية كذلك.

(٢) إن ما يكتبه د. رفعت وغيره عن أن «الإخوان المسلمون» هم الإسلام والإسلام هو «الإخوان المسلمون» غير صحيح بالمرة..

(٣) القول بأن جميع الحركات الإسلامية خرجت من عباءة «الإخوان المسلمين» عضوياً غير صحيح.. فالجماعات الإسلامية لم تخرج من الإخوان المسلمين وكذلك حزب العمل.. لكن الصحيح أن جميع هذه الجماعات خرجت من الإسلام نفسه، نعم الإخوان تنظيم كبير له فضل رائد خرج من الإسلام ومن أصوله وقد أبلى في ذلك وبذل الدماء والتضحيات..

(لكن الإسلام أكبر وأوسع) فالقول بأن جميع الحركات الإسلامية خرجت من عباءة الإخوان تحديداً كلام غير صحيح ـ لا تاريخياً ولا واقعياً ـ الأهمية لهذه التفرقة ليست نظرية، ثم تناول قضية هزيمة الخلافة العثمانية وانتصار الغرب وأثر ذلك على نفوس المسلمين ـ فقد أصبحت الدعوة إلى إحياء الخلافة العثمانية والإصرار على أن الإسلام ما زال يمثل الحل ويمثل المستقبل أمراً صعباً، فقد فُقد الأمل في قدرة الإسلام على التجديد بعد طول الجمود. وأصبحت الدعوة للعودة إلى الإسلام تمثل فتنة وردة في مواجهة رفض عام، خاصة من بين النخب الحاكمة والنخب المثقفة التي باتت تنظر إلى دعاة الإسلام السياسي على أنهم كتلة واحدة دون تمحيص في حقيقة ما يقصده دعاة استعادة الدولة الإسلامية ومحاولة النهوض من جديد تحت راية الإسلام.

لكن بعد طول المعاناة وكثرة التجارب خلال هذا القرن أصبح هناك ما نسميه «الصحوة الإسلامية» وما تعنيه من يقظة الأمة وبخاصة نخبها الشابة فقد أفاق الجميع من غيبوبة طويلة ليؤكدوا على أن النهضة لا تكون ناجحة إلا بمقدار ما لها من جذور مرتبطة بالإسلام.

إن جماهير الشباب تقبل على الفكرة الإسلامية دون سواها، لأنه لا يوجد ما يؤثر في نفوس هؤلاء الشباب سوى الإسلام، بعكس الجيل السابق فقد تأثر بمجموعة الأفكار الغربية بشقيها: (الشيوعي، الليبرالي).

ثم استطرد الأستاذ عادل في محاولة لقياس الحركة الشيوعية من بدايتها وما كان يقال عنها من أنها **واحدة مصمتة**، ثم تنوعت بعد ذلك باختلاف التجارب والبلدان بحركة الإخوان والجماعات الدينية المتنوعة، ودعا المثقفين إلى فهم الظاهرة والتمييز بين أطرافها لإمكانية التعاون والتفاهم مع البعض دون البعض على أساس الحوار دون التعالي على هذه الحركة أو تجاهل أبعادها الجبارة - وفي عباراته الأخيرة من أطروحته، يؤكد أن قيادات العمل الإسلامي أكثر فهماً للواقع، وأقرب إلى التعبير عن طموحات الأمة، بعكس النخب المثقفة التي ليس لها صلة، بالجماعات الإسلامية، فيعزلون أنفسهم عن نور الله — عن هذه الحركة الصاعدة (ويقولون دُول شوية عيال) هم في حقيقة الأمر مخطئون. واتهامهم للجماهير بالسلبية عجز من هذه النخب. فالجماهير ليست سلبية — بل هي في اتجاه مغاير لما تقول به هذه النخب.

وهكذا أنهى عادل حسين حديثه بوصف النخب بالعجز والاغتراب عن الواقع، مدافعاً عن الحركات الإسلامية وبخاصة جماعة «الإخوان المسلمين».

وقبل أن نناقش ما ورد في حديث سيادته نستعرض باختصار أهم الأفكار والآراء التي وردت في كلام د. رفعت السعيد ثم نناقش ما ورد في حديثهما معاً لنرى وجوه الصواب والخطأ عند الطرفين، وأيهما كان محدداً وواضحاً في طرحه للقضية التي عقدت من أجلها الندوة.

يظهر أن د. رفعت كان أكثر إصابة لهدفه دون لف أو دوران: فقد بدأ حديثه بالاستئناس بمقولة للإمام الشافعي، وحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى في الصحيحين عن الإمام علي بن أبي طالب مما يعطي لحديثه حجية ومرجعية دينية صحيحة، ثم تحدث عن سر اختياره لمسمى «التأسلم السياسي» لغوياً دون وصفهم بالأصوليين — أو حتى المتطرفين - لأن «الأصوليون» هم الراغبون في العودة إلى الأصل — والأصل جليل ومفترض فيه كلية الصحة - وهم ليسوا كذلك...

ثم تحدث في الهامش الثالث - عن ضرورة التمييز بين العنصر الإيماني في الدين - فليس هذا العنصر مطروحاً للمناقشة أو الإنكار، حيث هذا أصل

الديـن دون العنـاصر السياسـية والاجتماعيـة ـ فهـذه هـي محـل النقـاش والحوار ـ لأن هذا التمييز هو الذي يوضـح ويفسر لنـا صحيـح الديـن مـن فاسد التدين وإلا اعتبرنا المذابح المأسوية البشعة التي جرت بـين المسلمين في عصورهم المختلفة. وآخرها ما يحدث يومياً في أفغانستان بـين جماعـات الجهـاد الإسلامي من قتل ودمار دليل صحوة إسلامية... وصحيـح الديـن ليس كذلك ـ هذا وقد قسم رفعـت السـعيد الجماعـات المتأسلمة إلى ثلاثـة فصائل ـ جميعها تنطلق من خيمة فكرية واحـدة. فمقـالات عـادل حسـين وإبراهيم شكري لا تختلف عن مقالة مصطفـى مشـهور... ولهـذا فالتعـامل ليس فقط في مجرد الحديـث، وإنمـا أيضـاً في السياسـية يتـم علـى أسـاس المنطلق الواحـد لهـذه الجماعـات كمـا أن التطـرف ينبـع وينشـأ مـن عـدة أبواب:

أولهـا: القـول بـأن جماعـة مـا تدعـى لنفسـها الحـق بأنهـا جماعـة المسلمين ـ وما عداها خارج دائرة الإسلام، وبالتالي فمـن لم يكـن مـن هـذه الجماعة فهو خارج رقعة الإسلام ويستحق ضـرب عنقـه بالسـيف ـ وهـذا غير صحيح بالمرة ـ.

وذكر رفعت السعيد أن من أوائل من قال بفكرة إن «الإخوان المسـلمين» يمثلون الإسلام الإمام حسن البنا، وقال مثل قوله عبد القادر عودة وشكري مصطفى الذي كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين ثم انشق عليهم وألف لنفسه جماعة أخرى سفكت الدماء وقتلت الأبرياء ـ .

الثـاني: ـ مـن أسـباب التطـرف ـ الفهـم النصـيّ (الحـرفي) للقـرآن والسنة... والمسلمون تاريخياً يتعـاملون مـع النـص القرآنـي والأثـر النبـوي بطريقتين ـ وسوف نعود لهذا البند بمزيد من التوضيح فوق ما ذكره رفعـت السعيد ـ.

البند الثالث: ـ تسييس الدين أو تديين السياسة وذهب إلى خطـأ هـذا الاتجاه في كل من حق الدين وحق السياسة وفي حق البشر.

لأن الدين إلهي شمولي كلي الصحة ـ بينما السياسة فعل إنساني ناقص يحتمـل الصـواب والخطـأ، كمـا يحتمـل الصـواب والخطـأ، كمـا يحتمـل

المناقضة والرد والمعارضة في حين أن الدين كوحي إلهي لا يجوز رده أو مناقضته واستشهد د. رفعت بشعر لكل من الأستاذ حسن البنا وعبد الحكيم عابدين على خطر تسييس الدين ـ حيث يريد البنا إلغاء كل الأحزاب والأنشطة السياسية ليحل محلها قيام حزب واحد إسلامي... كما أشار د. رفعت إلى فهم الإسلاميين المعاصرين لحقيقة الشورى والديمقراطية حيث يقول أبو الأعلى المودودي «الإسلام لا يجعل من كثرة الأصوات ميزاناً للحق، فإنه من الممكن أن يكون الفرد الواحد أكثر صواباً وأحدّ بصراً من سائر أعضاء المجلس جميعاً ويقضي برأيه منفرداً، كما أن الخلط بين الدين والسياسة قد يؤدي إلى الخلط بين نفسه وبين الدين جماعة سياسية كما كان يهتف الأخ عبد القادر في مارس ١٩٥٤ احتجاجاً على سجن بعض الإخوان ـ كان يقول «الإسلام سجين».

بل إن «سيد قطب» يقول إن المسلم الذي لم يكن ينتمي إلى جماعة إسلامية حقة كان قلبه مفتقراً إلى حقيقة الإسلام... ويذكر «سيد قطب» أن «الإخوان المسلمين» ليسوا قطاعاً من هذا الشعب وغيره، إنهم «كينونة جديدة تنشأ منفصلة عن هذه التشكيلات الوطنية والقومية. والعالمية»؟؟.

الباب الرابع للتطرف: القول **بوجوب وجود الحكومة الدينية** ـ وهذا يؤكد على أنهم جميعاً متشابهون؟؟. من حسن البنا حتى الشيخ عمر عبد الرحمن.

الخلافة ليست مسألة دينية ـ وإنما هي شأن من شؤون الأمة ـ يعني سياسة.

خامساً: العبث بالوحدة الوطنية ـ ثم موقف حزب العمل ـ

وازدواجية مواقفه نراه يطالب بالديمقراطية ويطالب بحرية النقابات وحرية العمل الحزبي ثم في نفس الوقت يمجد حكم البشير فأين هو حكم الإسلام الصحيح؟.

بعد الانتهاء من عرض الأفكار الأساسية لكلا المتحاورين... تتضح مجموعة من الحقائق لابد من الإشارة إليها:

أولاً: لم يكن الإسلام «الدين والرسالة» الـتي تدعـو النـاس إلى الإيمـان با لله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وإقام الصلاة. وإيتاه الزكـاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً إلى غير ذلك، من الدعـوة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عـن الرذائـل، لم يكـن الديـن بهـذا المعنـى مطروحاً للحوار ولا للمناقشة ولن يكون مطروحاً في المستقبل فالدعوة للدين بهذه المعاني وتلك القيم قائمة وملزمة لكل مسلم...

إنما المطروح للحوار وللمناقشة قضايا السياسة، وفي القلب منهـا قضيـة الإسلام السياسي، أو «التأسلم السياسي» حسبما يرى كل فريـق أن يسـمى الحركات الدينية السياسـية في معـترك الحيـاة.. وبهـذا التحديـد كـان د. رفعت أكثر تحديداً للمطلوب بينما حاول الأسـتاذ عـادل أن يخلـط ويعمـم بين المفاهيم.

فيقول: التعددية الإسلامية ـ هي التي توجه حركة المسلمين كما توجه معتقداتهم جميعاً ـ وليس للاختلاف بينهم في مجال الاجتهاد نهاية ـ كان هذا صحيحاً في الماضي والتاريخ وهو صحيح الآن. فكلهـم يختلفـون داخـل إطار الأصول الإسلامية ـ ولكن لا يكفر بعضهم بعضاً ـ سـواء كـان ذلـك في الجزائر أو السودان أو مصر...

إن محاولـة سـحب الفكـرة الإسـلامية بكاملهـا علـى نشــاط الحركـة الإسـلامية السياسـية، وبهـذا التصـور ينفـى عمـن ليـس مـن أعضـاء هـذه الجماعة صفة الإسلامية... وهذا ما نحذر منه وننبه إلى خطورته...

فليست «جماعات النشاط السياسـي الديـني» وحدهـا هـي المعـبرة عـن الإسلام فالإسلام أوسع وأكبر وأدعم وأشمل: فكل من قـال لا إلـه إلا ا لله محمد رسول ا لله فهو مسلم وإن زنى وإن سرق كما قال: رسول ا لله صلـى ا لله عليه وسلم فيمـا روى عـن أبـي ذر...= مـن كتـاب (تهذيـب الآثـار) للطـبري ص ٢ ص ١٥٤ = كمـا أن دفـاع الأسـتاذ عــادل عــن الإخــوان المسلمين ونفيه لمقولة خروج الجماعات السياسية من عباءة الإخوان...

أمر لا يجب أن يقع فيه مفكر في مستوى عادل حسين، فالتاريخ يؤكد صحة هذه المقولة، كما أن حصاد عمـل هـذه الجماعـات السياسـي سـوف

يصب في النهاية في طاحونة الإخوان باعتبار أنهم الأكثر كفاءة وخبرة في النواحي السياسة والتنظيمية... كما أن نفي هذه المقولة لتبرئة الإخوان من آثام التطرف، والقول بأنهم جميعاً قد خرجوا من الإسلام، نفسه يلقي بالشبهة على الإسلام نفسه ويساعد على التأكيد الخاطئ لدى الغرب بأن الإسلام دين العنف والإرهاب وهذا أمر ننفيه عن الإسلام، كما ينفي الإسلام عن نفسه هذه التهمة فالإسلام دين السلام ــ وأعتقد أن الأستاذ عادل حسين لا يقول بغير هذا ـ لكن يُشْكل على قول سيادته ما ذكره حول موقف النُخب الذين يعزلون أنفسهم عن نور ا لله ـ عن هذه الحركة الصاعدة = فالأستاذ عادل ينزل هذه الحركات الإسلامية: منزلة نور الإله نفسه وهذا عين الخلط ـ بين الدين والرسالة والعبادة ـ وبين حركة البشر ـ التي تحتمل الصواب والخطأ.. ـ وهذا عيب من يكتب مدافعاً عن استخدام الدين لتحقيق أغراض سياسية ـ وهو نفس ما رفضه رفعت السعيد وحذر منه ـ ورغم هذا فعادل حسين يعد وسط تيارات الحركة الإسلامية متقدماً فهو يعلن إيمانه بالتعددية وحق الاختلاف والاتفاق في الرأي... وهذا أمر لا يتوافر لغيره من قيادات الحركات الإسلامية، وهذا أمر يشجع على تكرار اللقاء والحوار معه من أجل الوطن.

كما أن هذا يساعد في فك التلازم بين قيادات الحركة الإسلامية، ويفتح الطريق لآخرين يرغبون في الانعتاق من قبضة هذه الجماعات، أما ما قدمه رفعت السعيد من آراء وأفكار دعمها بالأدلة والمراجع في موضوع المناقشة **فأمر يستحق التقدير والإشارة... مع تحفظ وصد...** حول فكرته يرفض الحوار مع كل تيارات الحل الإسلامي ــ ففي نظري أنه يمكن تقسيم هذه التيارات... والتعامل مع من يقبل منها الحوار والتعددية والاعتراف بالآخر وتبادل السلطة.. من أمثال عادل حسين طبعاً مع إدانة الإرهاب والعنف... لأن العبرة في النهاية بنتيجة العمل والحوار في أرض الواقع، وليس بالضرورة منطلقه الفكري.. فنحن في التجمع لنا منطلقاتنا الفكرية المتنوعة لكن نعمل لتحقيق أهداف مشتركة هي في النهاية في صالح الوطن والمواطن.. كما أن نظرتنا في فهم الإسلام ونصوصه الدينية تنطلق من الغاية من النص وليست من مجرد النص لتحقيق مصالح العباد ورفع

الضرر عنهم، وربما ما قدمه الدكتور رفعت في هذا الاتجاه صحيح... فالمذابح التي وقعت بين المسلمين على طول التاريخ وآخرها ما يحدث في أفغانستان بين مدعي الجهاد، لا يمكن وصفها على أنها تمثل صحيح الدين.. والله تعالى حرم ذلك وأمر بالإصلاح بين المقتتلين فقال تعالى «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» الحجرات ٩، وحذر الرسول من سوء مغبة الاقتتال بين المسلمين أفراداً أو جماعات فقال عليه السلام: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» البخاري.

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لحق بالرفيق الأعلى ولم يحدد شكل الحكومة. ولا نظام اختيار الحاكم... كما لم يوص بالحكم لشخص معين ـ إلا ما تقول به جماعات الشيعة ـ من أن النبي (ص) أوصى بالحكم لعليٍ ـ لكن المؤكد عند أهل السنة والجماعة أنه لم يثبت شيء من هذا، فالنبي(ص) ترك الأمر شورى بين المسلمين ـ وهذا ما دعا الأنصار إلى الإسراع للاجتماع في سقيفة بني ساعدة يطلبون الخلافة لزعيمهم سعد بن عباءة والرسول لم يزل في بيته لم يدفن بعد: كما سارع إليهم نفر من المهاجرين (أبو بكر وعمر وأبو عبيدة) وتناقش الجميع في الموضوع وقدم كل طرف حجته العقلية في أحقيته للحكم، دون أن يكون مع أحدهم دليل واحد من القرآن والسنة ـ وانتهى الأمر باختيار أبي بكر، وهكذا فالحقيقة المطلقة لم يعد أحد الصحابة يملكها بعد الرسول، وإنما أصبح الحق والصواب موزعاً بين أصحابه جميعاً، وهذا هو جوهر الدين... وما يجب عمله في فهم نصوص القرآن والسنة... فالذين يعمدون إلى فهم ظاهر النص منفرداً عن باقي نصوص القرآن والسنة في الموضوع الواحد كما تفعل جماعات الإسلام السياسي حالياً، وكما فعلت جماعات الخوارج من قبل..

وكما أشار د. رفعت يوقعون الناس في الخطأ والحرج والمشقة... بعكس ما يقول به دعاة الاستنارة قديماً وحديثاً، وهناك مثال عملي لنتائج فهمين مختلفين لمدرستين مختلفتين..

النص الأول من القرآن: (وقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل... الآية) البقرة ١٩١.

النص الثاني من السنة: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا ا لله) البخاري.

المتعصبون الحرفيون يقولون إن القرآن والسنة أمرت بقتال الناس جميعاً والكفار خصوصاً في أي مكان، ما دام لم يقولوا «لا إله إلا ا لله» ولهذا يعلنون الحرب على غيرهم بمقولة إن المجتمعات جاهلية والناس كفار... وتتحول الحياة تحت هذا المفهوم إلى جحيم ودماء لا تجف... وهذا منافٍ لروح الإسلام ودعوته السمحة وشريعته البيضاء.. لهذا يتقدم ذوا الرأي والبصائر في فهم القرآن والسنة من الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين، فيفسرون منطوق الآية وعبارات الحديث في إطارهما الصحيح، وفي ظروفها وأسبابها حتى يرفعوا الحرج والمشقة عن الناس فيعبدوا ا لله تعالى في سكينة واطمئنان.. فيقولون إن المراد من الآية هم مشركو مكة بدليل السياق القرآني وواقع الصراع التاريخي بين المسلمين ومشركي قريش...

فقبل هذه الآية مباشرة آية تنص على أن القتال شرع فقط في مواجهة المعتدي، وليس لإجبار الناس على الدخول في الإسلام، بدليل قوله تعالى «لا إكراه في الدين». وهذه الآية التي حدد ا لله فيها سبب القتال تقول: (وقاتلوا في سبيل ا لله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن ا لله لا يحب المعتدين). آية ١٩٠ البقرة.

ويزيد الأمر تأكيداً على أن المراد هم مشركو مكة وليس كل مشركي العالم كما يقول دعاة العنف قوله تعالى في تمام الآية (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه)، فالذين كانوا عند المسجد الحرام هم مشركو قريش فقط.

كما أن المراد بكلمة **الناس** في الحديث الصحيح هم أيضاً مشركو مكة وليس كل الناس فأل في الحديث للعهد وليست للجنس بدليل قوله تعالى في سورة النصر (إذا جاء نصر ا لله والفتح ورأيت **الناس** يدخلون في دين ا لله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً).

إذ المراد بالفتح في السورة هو فتح مكة والذين دخلوا في الإسلام أفواجاً يوم الفتح هم مشركو مكة وليس كل الناس في العالم ــ ولهذه الآية وهذا

الحديث نظائر في القرآن الكريم من هذا قوله تعالى في الآية ١٧٣ من سورة آل عمران =(الذين قال لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا ا لله ونعم الوكيل) فالناس الأولى هم المثبطون والثانية قريش - وقوله تعالى «فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم» الأعراف آية ١١٦، فلفظ الناس في الآية قصد به قوم فرعون الذين كانوا مع السحرة وليس المقصود به كل الناس في كل الأزمنة والأمكنة، وعموماً فلفظة الناس ذكرت في القرآن (٢٤١ مرة مائتين وإحدى أربعين مرة) منها ما هو عام يشمل الجنس ومنها ما هو خاص يدل عليه السياق.

= أما موضوع الشورى بالفهم الذي قدمه د. رفعت فضلاً عن قيادات الحركة الإسلامية (حسن البنا وأبو الأعلى المودودي وسيد قطب) وغيرهم ممن ينكرون حق الأمة ويهدرون قيمة الأغلبية في مواجهة رأي الأمير أو كبير العائلة.. فأمر يؤسف له بحق ولو كان الأمر كذلك ما تشاور النبي صلى ا لله عليه وسلم مع أصحابه، فهو المعصوم وحده وغيره من الناس لا عصمة له... ومع ذلك كان النبي دائم المشورة لأصحابه وهو القائل لأبي بكر وعمر ما اجتمعتا على أمر وخالفتكما فيه ــ بل إن ا لله تعالى حين يأمره بأن يشاور أصحابه بقوله سبحانه «وشاورهم في الأمر» لم يكن ذلك عبثاً منه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً فأوامر ا لله مكللة بالحكمة منزهة عن العبث. والرسول كان واضحاً مع أصحابه حين يميز بين ما هو دين يجب فيه الالتزام بالوحي قرآنا أو سنة وما هو شأن من أمور الحياة فيقول «إذا أمرتم من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشأن من أمور دنياكم فإنما أنا بشر»...

كما أن أبا بكر كان يؤكد على بشريته وأنه لا عصمة له «لهذا فهو معرض للخطأ والصواب فكان يقول إذا رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسددوني... إن رسول ا لله (صلى ا لله عليه وسلم) كان يُعصم بالوحي أما أنا فقد يعتريني شيطاني» وهكذا كان فهم الصحابة الأجلاء لروح الإسلام وتعاليمه بل إن النبي صلى ا لله عليه وسلم يقول في حديث صحيح: لا تجتمع أمتي على ضلالة فكيف ينكر عليها هذا الحق أبو الأعلى المودودي وغيره اللهم إلا أنه يكون هذا لإلغاء شخصية الأمة

وتطويع الناس للقبول بفكرة السمع والطاعة في المنشط والمكره وهذا ضد جوهر الشورى والديمقراطية، بل وضد مبادئ العدل والمساواة بين الأمة التي أشاد القرآن بفضلها حين تتولى مسؤولياتها في الرقابة والمتابعة لكل عمل فيقول الله تعالى:

«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر...» آل عمران الآية ١١٠. فمن جملة المعروف التعامل مع الناس جميعهم بالحسنى اتفقوا في الدين أو اختلفوا عملاً بقوله تعالى «وقولوا الناس حسناً» ومبدأ الحرية الذي أقره الإسلام لا يتجزأ؛ فحين يقول الله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) مع قوله تعالى (الإكراه في الدين) فهذا الحق يستلزم حرية العبادة للمخالفين وهذا ما نص على عمر في عقد الصلح مع أهل القدس حين فتحت صلحاً... فقد أقر النصارى على دينهم وكنائسهم وصلبانهم» فمن يأتي الآن ليحاول انتقاص هذا الحق.. فهو أبعد عن الروح الإسلامية الصحيحة ـــ وحين نقول بحق كل أبناء الوطن في حياة متساوية فنحن أقرب إلى دين الله تعالى.. والله ولي التوفيق.

د. مجدي قرقر

أمين عام مساعد حزب العمل

أيدينا بيضاء... خشنة... متوضئة

«أغسل يدك من دم الإرهاب حتى أستطيع أن أتفاهم معك».

بهذه الكلمات أنهى د. رفعت السعيد مناظرته مع الأستاذ عادل حسين أمام جمع كبير من المثقفين والسياسيين المصريين والعرب... وليعلم د. رفعت أن أيدينا بيضاء لم تلوث بدماء الأبرياء.... أيدينا خشنة يحبها الله ورسوله حيث تعمل لخير أمتنا... أيدينا متوضئة تخاف الله في كل ما تعمله وما تكتبه، لم تزيف تاريخاً ولم تجتزئ نصاً وستشهد علينا يوم القيامة.

(ملاحظة شكلية)... عنوان المناظرة «الاعتدال والتطرف في الإسلام السياسي».. ومن هنا كان الواجب أن يكون رفعت السعيد أول المتحدثين حتى يعرض رؤيته النقدية ليعقب عليها عادل حسين... إلا أن د. رفعت تعهد في البداية أن يكون اللقاء ندوة أو حواراً لأن المناظرة تمتلك قدراً من اللجاجة ينأى بنفسه وبمحاوره عنها... وما أن جاء دوره حتى جاء حديثه مناظرة مليئة باللجاجة والتهكم والسخرية والضرب تحت الحزام.

(ملاحظة عامة) لقد دعا عادل حسين إلى الحوار بصدر رحب وعقل مفتوح وصبر يحسد عليه ففي إطار ما يقتضيه «فقه الأولويات» دعا إلى مواجهة الصهيونية وإلى البحث عن سبل الاستقلال الاقتصادي والعدل الاجتماعي ولتحقيق ذلك دعا إلى تجاوز الخلافات وتأسيس جبهة تواجه التحديات إلا أن رفعت السعيد آثر أن يغرق في الخلافات ولم يتعرض لأية نقطة من هذه النقاط بما يعني رفضه للحوار رغم أننا نعتقد أن هذه النقاط تقع في مساحة الاتفاق مع التجمع.

(تزييف التاريخ) تغلب المؤرخ على السياسي في تعقيب رفعت السعيد... ولكن هل التزم أمانة المؤرخ؟!... ما من شك في أن هناك بعض السلبيات التي شابت التاريخ الإسلامي وشابت ممارسات بعض الجماعات التي انحرفت عن صحيح الإسلام ولكن أن نسرد هذه الأحداث للتعبير عن تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها فإن هذا يعتبر تزييفاً للتاريخ لخدمة أهداف ما كنا نود للدكتور أن يقع فيها.

(لغة الخطاب) ولقد تحدث عادل حسين بلغة السياسي دون أن يتنازل عن صحيح دينه أو ما يمليه عليه فكره السياسي وهذا ما اقتضته طبيعة اللقاء في محاولة منه لإقناع مخالفيه... إلا أن الغريب أن رفعت السعيد والذي يعيب علينا عدم التمييز بين العنصر الإيماني في الدين وبين العناصر السياسية والاجتماعية الأخرى ـ فصل الدين عن السياسة ـ الغريب أنه حاول أن يوظف الدين لدحض رؤية مخالفيه باجتزاء النصوص وتزييف التاريخ وهنا ينطبق عليه مصطلح «التأسلم» الذي وصف به مخالفيه لتكفير التيارات الإسلامية أو وصفها بالنفاق على أحسن تقدير طبقاً لتعريفه للتأسلم بأنه (علامة على التشبه بشيء لكنها ليست الشيء ذاته) ـ أليس غريباً أن يمارس رفعت السعيد التكفير وتوظيف الدين رغم أنه ما زال في الخندق الماركسي على ما أعلم؟!.

(اجتزاء النصوص) ويشير رفعت السعيد إلى حديث بأن الخلافة ثلاثون عاماً ثم تصير ملكاً عضوضاً ولكنه لم يشر إلى حديث حذيفة الذي أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذي في أن الحكم في دولة الإسلام يمر بعدة مراحل (نبوة ـ خلافة على منهاج النبوة ـ ملك عضوض ـ ملك جبري ثم خلافة على منهاج النبوة) إنه منهج (ولا تقربوا الصلاة!!!) لغرض في نفس الدكتور.

(التعددية) وخير دليل على التعددية في الإسلام تلك الصحيفة التي حررها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد الهجرة للمدينة والتي اعترفت بمكونات هذا الواقع بكافة عناصره من يهود ومشركين ومهاجرين وأنصار.

ويأبى رفعت السعيد إلا أن يضع كل التيارات الإسلامية تحت خيمة واحدة وهذا صحيح إذا كانت هذه الخيمة هي خيمة الإسلام... وإذا كان الاعتراف بالآخر غير المسلم قائماً كما أسلفنا فما بالنا بالآخر المسلم والآخر الإسلامي... والقاعدة الفقهية واضحة وهي أن الاتفاق في الأصول واجب أما الفروع فمساحة الحركة فيها واسعة ومن هنا تتعدد التيارات والجماعات داخل الإطار الإسلامي فالتعددية في الإسلام رحمة كما يقول المبدأ الفقهي (إجماع الفقهاء حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة).

(**الديمقراطية**) والشورى فريضة إسلامية وهي حق مقرر للحكام والمحكومين وليس أحد الطرفين أحق بها من الآخر... أما تنظيم استعمال هذا الحق فهو الشكل العملي أو الآلية لممارسة الشورى من حقوق وواجبات فهي وسيلة اجتهادية لتحقيق مقصد شرعي صحيح... وبالتالي فنحن مع الديمقراطية وتداول السلطة وضد الاستبداد السياسي والسلطان المطلق للحكام أو الطاعة المطلقة لهم.

(**الدولة الدينية أو الثيوقراطية**) الإسلام لا يعرف الحكومة الدينية بمعنى حكم رجال الدين لأن الإسلام لم يشترط في حاكم المسلمين أن يكون أكثر الناس معرفة بعلوم الدين أو أكثرهم تديناً وسماحة وأخلاقاً حتى أن ابن تيمية ذهب إلى أن الواجب في كل ولاية الأصلح بها... فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوى الشجاع وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً... لا كهنوت في الإسلام وعلماء الإسلام وكذلك الحكام ليسوا بمعصومين والدولة الإسلامية دولة مدنية مرجعيتها الشريعة الإسلامية ثم الشورى فيما لم يرد فيه نص قطعي الثبات قطعي الدلالة.

نكرر دعوة عادل حسين لرفعت السعيد في أن يأتي لكلمة سواء لما فيه خير أمتنا.

صلاح عدلي

السبيل الديمقراطي لتجنب العنف والإرهاب

مما لا شك فيه أن هذه المناظرة قد خلقت جواً من الحيوية السياسية التي انعكست في الحضور المكثف للجمهور الذي حضر اللقاء. وأنا أعتقد أن المناظرة كانت ناجحة بالرغم من كل ما شابها من توتر بسبب محاولة البعض من الإخوان المسلمين بالإثارة والمقاطعة والتشويش خاصة أثناء التعقيب الأخير للدكتور رفعت السعيد.

ورغم رفض الدكتور رفعت والأستاذ عادل لفكرة المناظرة وتفضيلهما تسميتها بالندوة أو الحوار... إلاّ أنها في الحقيقة كانت مناظرة فعلاً. وليس هناك ما يزعج في ذلك لأن كلاً من التيارين له مشروع يختلف بشكل جذري عن مشروع التيار الآخر ولا مجال للتوفيق بينهما خاصة في الموقف من الدولة الدينية وتطبيق الشريعة والقانون الوضعي وحرية الفكر لذلك فمن الطبيعي أن يحاول كل منهما كسب الجماهير إلى وجهة نظره وهزيمة المشروع الآخر. المهم أن تتم هذه العملية بشكل سياسي وفي إطار ديمقراطي ومن خلال جدل فكري بعيداً عن أسلوب التكفير والمصادرة والإقصاء التي يمارسها تيار الإسلام السياسي وهذه هي بالتحديد فائدة هذه الندوات والمناظرات.

ومن هذه الزاوية يمكن القول بأن الدكتور رفعت السعيد كان هو الأقوى حجة. والأكثر تأثيراً وامتلاكاً لأدواته ولذلك فقد حقق انتصاراً واضحاً لوجهة نظره واستطاع أن يعرض وجهة نظر متكاملة حول الجذور الفكرية للتطرف والإرهاب، وحول عدم وجود اختلافات بين جماعات هذا التيار

السياسي المتستر بالدين، وقد ركز هجومه على موقف جماعة الإخوان المسلمون المساند للإرهاب والعنف تاريخياً وعدم إدانتها له حتى الآن، وعلى خروج كل جماعات العنف والإرهاب من عباءة الإخوان المسلمين في البداية واسترشادها بالفكر القطبي وقد صمت الجميع حين تحدى الدكتور رفعت قادة الإخوان والأستاذ عادل أن يدينوا صراحة العنف والإرهاب وأن يقولوا كلمة واحدة ضده.

وبالرغم من قوة منطق الدكتور رفعت السعيد وجاذبية حديثه إلاّ أنه قد أعطى للجانب التاريخي والفقهي وقتاً أكثر من اللازم في حين كان يجب أن يركز على الوقت الحاضر والأطروحات المعاصرة والدخول مباشرة في القضايا السياسية محل الخلاف... كما أنه تجاهل محاولات الأستاذ عادل حسين لتمييز نفسه عن باقي الجماعات الإسلامية وبدا الدكتور رفعت متحمساً أكثر من اللازم في نهاية اللقاء. وربما كان سبب ذلك استفزاز بعض عناصر الإخوان المسلمين ومقاطعتهم المستمرة.

ورغم النغمة الهادئة التي تميز بها حديث الأستاذ عادل حسين وإشارته إلى الاستعداد لمناقشة المسائل الخلافية إلا أنه ـ وهذا هو جوهر الخلاف ـ أكد على أن ذلك ينبغي أن يتم في إطار العباءة الإسلامية الواسعة.

ولا شك أن الشيوعيين يقفون ضد الصهيونية والهيمنة الأمريكية ويستعدون لأن يمدوا أيديهم لأية قوى حول هذه القضايا، إلا أننا نختلف اختلافاً جذرياً مع الهدف الذي تسعى إليه كل فصائل التيار الإسلامي وهو إقامة الدولة الدينية.

وهناك بعض الملاحظات الأساسية على حديث الأستاذ عادل حسين وهي أنه رغم حديثه المتكرر عن ضرورة وأهمية التفرقة بين الجماعات المختلفة المنتمية لتيار الإسلام السياسي إلا أنه لم يقل لنا كلمة واحدة عن جوهر هذه الاختلافات ولم يتحدث إطلاقاً حول القضايا محل الخلاف بين المعتدلين والمتطرفين وبماذا يختلف حزب العمل عن الإخوان المسلمين. مما يؤكد عدم الرغبة الحقيقية في الاستماع للطرف الآخر وتجاهله والدليل

على هذا هو اتهام الأستاذ عادل حسين للكتابات التي تنتقد تيار الإسلام السياسي بالسطحية، كما أنه لم يقترب من مسألة حرية الفكر والاعتقاد والإبداع... في حين أننا نرى أن هذه القضايا بالتحديد هي التي تكشف وتعزز المعتدلين عن المتطرفين إذا كانوا موجودين فعلاً ونحن نعرف جيداً موقف جريدة «الشعب» وحزب العمل من فيلم «المهاجر» ورواية «أولاد حارتنا» وفتاوى الغزالي والتي تقف فيه بشكل مباشر ضد حرية الفكر والإبداع... ومن ناحية أخرى فإنني أؤكد للأستاذ عادل حسين أنه ليس كل مد جماهيري دليلاً على الصحوة والتقدم إلى الأمام ذلك لأنه في غياب العقل وانعدام الديمقراطية ومصادرة الكتب يتحول هذا المد الجماهيري إلى غول فظيع يحرق الأخضر واليابس في طريقه مثلما حدث في ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وأخيراً فإننا نختلف تماماً مع محاولة الأستاذ عادل حسين تشبيه موقف الشيوعيين بموقف الإخوان وتأييدهم للعنف والإرهاب تاريخياً ونحن نؤكد أن الشيوعيين المصريين كانوا دائماً ضد الإرهاب الفردي وعمليات الاغتيال وترويع المدنيين وتخريب المؤسسات وكانوا دائماً مناصرين أقوياء لحرية الفكر ولم يسجل التاريخ واقعة واحدة في مصر تشير إلى تورط الشيوعيين في أية عملية إرهابية؛ وفي نفس الوقت فإن الشيوعيين انتقدوا مواقفهم الخاطئة حول قضايا الديمقراطية وديكتاتورية البروليتاريا وكذلك الممارسات الستالينية القمعية.

ونحن نأمل ألاّ تكون هذه المناظرة هي الأخيرة، ، ونؤكد على ضرورة وأهمية استمرار هذه الندوات والمناظرات بين التيارين مهما كانت الصعوبات، ذلك لأن هذا السبيل الديمقراطي لتجنب العنف والإرهاب.

الفهرس

...فوجئت بترتيب لمناظرة (الاعتدال و التطرف في الإسلام السياسي)، و فوجئت بهان الأستاذ عادل حسين قد قبل بالمشاركة فيها. و لم يكن ثمة مفر، فلا بد من أن أكون الطرف الآخر. فالأمين العام لهم.. يقابله الأمين العام لنا .. على الأقل من باب المجاملة..

... الغريب أن الذين كرروا إلحاحهم على ضرورة مشاركتهم في الحوار لم يحتملوا. بعد ثلاث أو أربع من الجمل أحسست أن بعضا من الملامح اكتسى بغضب متفجر، و الذين اقسموا و اكدوا على ضرورة تديين السياسة أو تسييس الدين بدات ترتفع تأوهاتهم ... أوجعهم جدا أن يكون القول الديني الصحيح ضدهم، و أن يستطيع كشف الغطاء عن حقيقتهم.

...إنها المرة الأولى التي أتعلم فيها أن حوارا أو قولا أو حججا يمكنها ان توجع إلى هذا الحد المتفجر.

...و تنتهي الندوة ... ليبدأ حولها ضجيج سياسي و إعلامي لم أكن أتوقعه ... و لم يكن يتوقعه أحد.

رفعت السعيد

